

شرح  
الأصول  
الثلاثة

الشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

شرح فضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

دار الألوكة

# شرح

## ثلاثة الأصول

تأليف

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

شرح

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

دار الكوثر للنشر والتوزيع

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

مفوضيات

2851 2008

رقم الإيداع:

صف ومراجعة وإخراج في «النور»

0107356733

hasanrha@yahoo.com



دار الكوثر

1 ش الإمام محمد عبده - خلف الجامع الأزهر

ت: 25141711

ت: 0103172827

## محمد بن عبد الوهاب - من موسوعة عباقرة الإسلام للفرشوخ

الدركتور محمد أمين فرشوخ

محمد بن عبد الوهاب ( 1703 م - 1792 م )

\* شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب . مصلح ديني واجتماعي وسياسي . قام بالدعوة السلفية في الجزيرة العربية . وهي دعوة أعادت الناس إلى ممارسة العقيدة الإسلامية في نقاوتها وصحتها كما يفصح عنها الوحي والسنة .

\* ولد الإمام في العيينة، ولم يدخل الكتاتيب بل درس على والده القرآن واللغة، واستظهر كثيراً من الأحاديث. حتى بات وهو دون العشرين عالماً مقصوداً.

\* ولما كانت الحياة الاجتماعية والدينية فاسدة، ففضلاً عن الجهل المتفشى، كانت البدع والخرافات عامة: ذبح لغير الله، نذر للأنصاب، توّسل بالموتى، تبرّك بالأشجار، علماء حائدين عن الإسلام الصافي والخُطى النبوية الشريفة .. فقد قام الشيخ يناقش العلماء وينصحهم حتى عنّف الجدال بينهم واحتدّ. فكثرت مناوئوه مما اضطر والده إلى ترك البلدة إلى حريملاء، ولم يصمد الشيخ الشاب طويلاً حتى غادرها أيضاً إلى مكة.

\* زار الشيخ محمد مكة، فأدّى فيها فريضة الحج ثم قصد المدينة، وهناك لازم فترة - العالم ابن سيف، ثم توجه إلى نجد فالبصرة، ثم عاد إلى حريملاء أكثر علماً ونضجاً وأشدّ قوّة على الباطل ورجاله. وتوفي أبوه في هذه الفترة كما حاول بعضهم قتله، فاختار أن يعود مع محازبيه إلى العيينة بلده الأصلي.

\* وفي العيينة، استقبله عثمان بن معمر أميرها وشعبها بحفاوة. وزادت شهرته فأيدته كثيرون في مناطق مجاورة وبعيدة، كما عاداه كثيرون أيضاً، ومنهم أمير الإحساء الذي ألّب بعض زعماء العيينة ضده، وحين قويت الثورة، غادر البلدة إلى الدرعية.

\* وفي الدرعية بايعه أميرها محمد بن سعود على دين الله ورسوله وعلى الجهاد في سبيله وإقامة شريعته. ومن الدرعية انطلقت الدعوة الوهابية قوية، تجمع الأنصار وتحارب الضالين.

\* وكانت الحروب بقيادة ابن سعود وابن عبد الوهاب ضد أمير الرياض وأمير الأحساء وغيرهما، حتى توّطد الحكم الصالح لمحمد بن سعود، ومن ثم لابنه عبد العزيز. وكان الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو المستشار الدائم، الذي يفصل في الخصومات. ويفتي في العلاقات السياسية وفي المعاهدات لأنه أعلم بالدين وبالأحكام.

\* لم يظهر في الدعوة والمصلحين الدينيين مثل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فمن عرفناهم قبله أو بعده لم تتجاوز آثارهم محيط الفكر المحدود، أو لم يكتب لدعواتهم الانتشار والذيعوع. لقد كان الشيخ محمد زاهدًا ومتعلمًا، لم يستخدم الدعوة قط في سبيل دنيا، بل قام بالدعوة مخلصًا لله. ومن يطلع على مؤلفات الشيخ محمد وعلى رسائله يعرف أنه كان كثير العلم واسع الثقافة وكان علمه الفقهي منحصرًا بأراء الإمامين المجتهدين: ابن تيمية وابن القيم.

هكذا أصلح نفسه ثم خرج للناس يريد لهم الإصلاح، وقد وفقه الله لما صمد له، فأثمرت دعوته وإصلاحه وتجديده وإحيائه القرآن والسنة أتباعًا كانوا أئمة ودعاة في الفترات التي كانوا فيها، وما يزال أتباعه إلى اليوم كما كانوا بالأمس.

\* أحداث عديدة ضربت الوهابيين، لكنهم ثبتوا وضحووا. قدم إبراهيم باشا بجيش جرّار وغزا به نجدًا ليقضى على الدعوة وأصحابها. قاومت مدن نجد ثم استسلمت. والدرعية بعد حصارها استسلم حاكمها ثم قتل في الأستانة مع صحبه. والمفترون على الدعوة كثر، جابههم الشيخ محمد وجهًا لوجه، ومراسلة، بنفسه وبتلاميذه. وصمد للجميع، فقد كان صاحب الدعوة مثالًا للجميع في الصبر والثبات والإيمان.

\* ليس لمحمد بن عبد الوهاب دعوة خاصة، بل هي دعوة الإسلام الحق، ومنهج هو منهج الإسلام. قال: «إني - والله الحمد - متبع ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين به هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة». فالوهابيون لم يبتدعوا سنة جديدة وإنما سلكوا مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في الفروع، أي

قواعد الدين العملية والشخصية والتنفيذية التي يصحّ فيها اختلاف العلماء لأنها موكلة إلى المجتهدين منهم، أما الأصول، أي العقائد وأسس الأحكام فهم فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، لا يحدون عنها.

\* من أهم المسائل التي دعت إليها الوهابية صرف جميع أنواع العبادة لله وحده، ومنع التوسّل والاستعانة والاستغاثة بغير الله، ومسألة الشفاعة، ومسألة الغلوّ في أهل القبور، وتحريم المسكرات ومنع الدخان.

\* قال فيه محمد كرد علي: «وما ابن عبد الوهاب إلا داعية هداهم من الضلال، وساقهم إلى الدين السمح، وإذا بدت شدة من بعضهم فهي ناشئة من نشأة البادية، وقلّمنا رأينا شعباً من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل هؤلاء القوم، وقد اخترنا عامتهم وخاصتهم سنين طويلة فلم نرهم حادوا عن الإسلام قيد غلوة، أما الغزوات التي يغزونها فهي سياسية محضة، ومذهبهم بريء منها، وما يتهمهم به أعداؤهم زور لا أصل له».

\* وقال طه حسين: «إن هذا المذهب الجديد قديم، والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين، ولكنه قديم في حقيقة الأمر، لأنه ليس إلا الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من شوائب الشرك والوثنية، هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي خالصاً لله وحده، ملغياً كل واسطة بين الله وبين الناس، هو إحياء للإسلام العربي وتطهير له مما أصابه من نتائج الجهل من نتائج الاختلاط بغير العرب».

\* ويقول عباس محمود العقاد: «سرعان ما ظهرت دعوة ابن عبد الوهاب بجزيرة العرب حتى تردّد صداها في البنغال سنة 1804... ثم تردد صدى الدعوة الوهابية بعد ذلك بزعامة السيد أحمد الباريلي في البنجاب...». ولم تقف آثار الدعوة الوهابية على القارّة الهندية فحسب، بل تجاوزتها إلى جاوا وأقصى الجزر الهندية الشرقية (إندونيسيا) وفي أفريقيا كان للدعوة أثر بليغ، ففي أواخر القرن الثامن عشر نشطت الدعوة وانتشرت في بعض بلدان أفريقيا: في السودان ونيجيريا وغيرهما.

\* تنسب الأسرة الوهابية إلى الشيخ عبد الوهاب والد الداعية محمد، وحين ظهر شيخ الإسلام الإمام محمد، غلب عليها آل الشيخ ومن الغريب تسمية دعوة الشيخ محمد بالوهابية نسبة إلى أبيه ومحمد هو الذي قام بها وناضل من أجلها ولقي في سبيلها الأذى والجوع وضروب المهانة، وكان الأولى أن تُسمّى الدعوة المحمدية، لكن جرى العدول عنها خوف الاشتباه بالنسبة إلى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

\* لقد بدأ ابن عبد الوهاب دعوته دون سن العشرين، شهد ثمارها وثمار جهاده مع ابن سعود وآثار الإصلاح في الديار، وتوفي أثر مرض في آخر يوم في ذي العقدة 1206 هجرية الموافق 29 حزيران 1792 ميلادية.

\* مؤلفاته:

- مختصر صحيح البخاري
- التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد
- كشف الشبهات
- كتاب الكبائر
- أربع القواعد في التوحيد
- مختصر زاد المعاد
- استنباط القرآن
- السيرة المختصرة
- فضائل الإسلام
- أصول الإيمان
- تفسير القرآن
- مختصر الشرح الكبير
- مسائل الجاهلية
- مفيد المستفيد
- الثلاثة الأصول
- آداب المشي في الصلاة

## ترجمة موجزة لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

1347هـ - 1421هـ

من منا في الأوساط العلمية لا يعرف الشيخ ابن عثيمين؟ وهو الذي شاع علمه في الآفاق وشهد القاضي والداني بفضلته وعلو مكانته.

وحيث إن سيرة هذا الشيخ الجليل وغيره من العلماء المخلصين الناصحين السائرين على نهج السلف الصالح رضوان الله عليهم تعتبر حافزاً إيمانياً للتأسي بهم واقتفاء آثارهم والاستفادة من الدروس التي تزخر بها أيامهم فقد حاولنا بصفة مختصرة الكلام عن سيرته الذاتية رحمته الله.

الشيخ محمد بن عثيمين ذلك العالم الجليل والمربي الفاضل والقُدوة الصالحة في العلم والزهد والصدق والإخلاص والتواضع والورع والفتوى.

هو شيخ التفسير والعقيدة والفقهِ والسيرة النبوية والأصول والنحو وسائر العلوم الشرعية. هو العالم الداعي إلى الله على بصيرة الذي انتفع بعلمه المسلمون في شتى أنحاء العالم الإسلامي والذي أجمعت القلوب على قبوله ومحبته وفضلته وعلو مرتبته.

هو فضيلة شيخنا فقيد البلاد والأمة الإسلامية العلامة محمد بن صالح العثيمين، رحمته الله رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

### اسمه ومولده

هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن العثيمين الوهبي التميمي. كان مولده في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام 1347هـ، في مدينة عنيزة - إحدى مدن القصيم - بالمملكة العربية السعودية.

### نشأته العلمية

تعلم القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان الدامغ رحمته الله ثم تعلم الكتابة وشيئاً من الأدب والحساب والتحق بإحدى المدارس وحفظ القرآن عن ظهر قلب في سن مبكرة، وكذا مختصرات المتون في الحديث والفقهِ.



وكان فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله قد رتب من طلبته الكبار لتدريس المبتدئين من الطلبة وكان منهم الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع رحمه الله فانضم إليه فضيلة شيخنا.

ولما أدرك ما أدرك من العلم في التوحيد والفقه والنحو جلس في حلقة شيخه فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي فدرس عليه في التفسير والحديث والتوحيد والفقه وأصوله والفرائض والنحو.

ويعتبر الشيخ عبد الرحمن السعدي شيخه الأول الذي نهل من معين علمه وتأثر بمنهجه وتأصيله واتباعه للدليل وطريقة تدريسه، وقد توسم فيه شيخه النجابة والذكاء وسرعة التحصيل فكان به حفيماً ودفعه إلى التدريس وهو لا يزال طالباً في حلقة.

قرأ على الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان رحمه الله في علم الفرائض حال ولايته القضاء في عنيزة.

وقرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله في النحو والبلاغة أثناء وجوده في عنيزة. ولما فتح المعهد العلمي بالرياض أشار عليه بعض إخوانه أن يلتحق به فاستأذن شيخه عبد الرحمن السعدي فأذن له فالتحق بالمعهد العلمي في الرياض سنة 1372هـ وانتظم في الدراسة سنتين انتفع فيهما بالعلماء الذين كانوا يدرسون في المعهد حينذاك ومنهم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد والشيخ عبد الرحمن الأفريقي وغيرهم (رحمهم الله).

واتصل بساحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام بن تيمية وانتفع منه في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها ويعتبر ساحة الشيخ عبد العزيز بن باز شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به.

وتخرج في المعهد العلمي ثم تابع دراسته الجامعية انتساباً حتى نال الشهادة الجامعية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

### أعماله ونشاطه العلمي

- \* بدأ التدريس منذ عام 1370هـ في الجامع الكبير بعنيزة في عهد شيخه عبد الرحمن السعدي وبعد أن تخرج في المعهد العلمي في الرياض عين مدرساً في المعهد العلمي بعنيزة عام 1374هـ.
- \* وفي سنة 1376هـ توفي شيخه عبد الرحمن السعدي فتولى بعده إمامة المسجد بالجامع الكبير في عنيزة والخطابة فيه والتدريس بمكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع والتي أسسها شيخه عام 1359هـ.
- \* ولما كثر الطلبة وصارت المكتبة لا تكفيهم صار يدرس في المسجد الجامع نفسه واجتمع إليه طلاب كثيرون من داخل المملكة وخارجها حتى كانوا يبلغون المئات وهؤلاء يدرسون دراسة تحصيل لا لمجرد الاستماع، ولم يزل مدرساً في مسجده وإماماً وخطيباً حتى توفي رحمته الله.
- \* استمر مدرساً بالمعهد العلمي في عنيزة حتى عام 1398هـ وشارك في آخر هذه الفترة في عضوية لجنة الخطط ومناهج المعاهد العلمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وألف بعض المناهج الدراسية.
- \* ثم لم يزل أستاذاً بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم بكلية الشريعة وأصول الدين منذ العام الدراسي 1398-1399هـ حتى توفي رحمته الله.
- \* درّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج وشهر رمضان والعطل الصيفية.
- \* شارك في عدة لجان علمية متخصصة عديدة داخل المملكة العربية السعودية.
- \* ألقى محاضرات علمية داخل المملكة وخارجها عن طريق الهاتف.
- \* تولى رئاسة جمعية تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في عنيزة منذ تأسيسها عام 1405هـ حتى وفاته رحمته الله.
- \* كان عضواً في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للعلمين الدراسيين 1398 - 1399 هـ و 1399 - 1400 هـ.

\* كان عضواً في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين بفرع الجامعة بالقصيم ورئيساً لقسم العقيدة فيها.

\* كان عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية منذ عام 1407هـ حتى وفاته رحمته الله وكان بالإضافة إلى أعماله الجليلة والمسئوليات الكبيرة حريصاً على نفع الناس بالتعليم والفتوى وقضاء حوائجهم ليلاً ونهاراً حضراً وسفراً وفي أيام صحته ومرضه رحمته الله رحمة واسعة.

كما كان يلزم نفسه باللقاءات العلمية والاجتماعية النافعة المنتظمة المجدولة فكان يعقد اللقاءات المنتظمة الأسبوعية مع قضاة منطقة القصيم وأعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عنيزة ومع خطباء مدينة عنيزة ومع كبار طلابه ومع الطلبة المقيمين في السكن ومع أعضاء مجلس إدارة جمعية تحفيظ القرآن الكريم ومع منسوبي قسم العقيدة بفرع جامعة الإمام بالقصيم.

وكان يعقد اللقاءات العامة كاللقاء الأسبوعي في منزله واللقاء الشهري في مسجده واللقاءات الموسمية السنوية التي كان يجدها خارج مدينته فكانت حياته زاخرة بالعبء والنشاط والعمل الدؤوب وكان مباركا في علمه الواسع أينما توجه كالغيث من السماء أينما حل نفع.

أعلن فوزه بجائزة الملك فيصل العالية لخدمة الإسلام للعام الهجري 1414هـ وذكرت لجنة الاختيار في حيثيات فوز الشيخ بالجائزة ما يلي:-

**أولاً:** تحليه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع ورحابة الصدر وقول الحق والعمل لمصلحة المسلمين والنصح لخاصتهم وعامتهم.

**ثانياً:** انتفاع الكثيرين بعلمه تدريسا وإفتاءً وتأليفاً.

**ثالثاً:** إلقاءه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة.

**رابعاً:** مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كبيرة.

**خامساً:** اتباعه أسلوباً متميزاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتقديمه مثلاً

حياً لمنهج السلف الصالح فكراً وسلوكاً.

كان رحمته الله على جانب عظيم من العلم بشريعة الله سبحانه وتعالى، عمر حياته كلها في سبيل العلم وتحصيله ومن ثم تعليمه ونشره بين الناس يتمسك بصحة الدليل وصواب التعليل كما كان حريصاً أشد الحرص على التقيد بما كان عليه السلف الصالح في الاعتقاد علماً وعملاً ودعوة وسلوكاً فكانت أعماله العلمية ونهجه الدعوي كلاهما على ذلك النهج السليم. لقد آتاه الله سبحانه وتعالى ملكة عظيمة لاستحضار الآيات والأحاديث لتعزيز الدليل واستنباط الأحكام والفوائد فهو في هذا المجال عالم لا يشق له غبار في غزارة علمه ودقة استنباطه للفوائد والأحكام وسعة فقهه ومعرفته بأسرار اللغة العربية وبلاغتها.

أمضى وقته في التعليم والتربية والإفتاء والبحث والتحقيق وله اجتهادات واختيارات موفقة، لم يترك لنفسه وقتاً للراحة حتى إذا سار على قدميه من منزله إلى المسجد وعاد إلى منزله فإن الناس ينتظرونه ويسيرون معه يسألونه فيجيبهم ويسجلون إجاباته وفتاواه.

كان للشيخ رحمته الله أسلوب تعليمي رائع فريد فهو يسأل ويناقش ليزرع الثقة في نفوس طلابه ويلقي الدروس والمحاضرات في عزيمة ونشاط وهمة عالية ويمضي الساعات يلقي دروسه ومحاضراته وفتاواه بدون ملل ولا ضجر بل يجد في ذلك متعته وبغيته من أجل نشر العلم وتقريبه للناس.

وقد تركت جهوده ومجالات نشاطه العلمي رحمته الله فيما يلي:-

بأشر التعليم منذ عام 1370هـ إلى آخر ليلة من شهر رمضان عام 1421هـ (أكثر من نصف قرن) رحمه الله رحمة واسعة. فقد كان يدرس في مسجده بعنيزة كل يوم.

ويدرس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج ورمضان والعطل الصيفية.

ويدرس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ويدرس باستخدام الهاتف داخل المملكة وخارجها عن طريق المراكز الإسلامية.

ويلقي المحاضرات العامة المباشرة والدروس في مساجد المملكة كلما ذهب لزيارة المناطق.

ويهتم بالجانب الوعظي الذي خصه بنصيب وافر من دروسه للعناية به وكان دائماً يكرر

على الأسماع الآية الكريمة ﴿وَأَعْلَمُوا أَنكُمْ مَلْفُوهٌ﴾ ويقول: والله لو كانت قلوبنا حية

لكان لهذه الكلمة وقع في نفوسنا.

ويعتني بتوجيه طلبة العلم وإرشادهم واستقطابهم والصبر على تعليمهم وتحمل أسئلتهم المتعددة والاهتمام بأمورهم.

ويلقي خطبه من مسجده في عزيمة وقد تميزت خطبه رحمته بتوضيح أحكام العبادات والمعاملات ومناسباتها للأحداث والمواسم فجاءت كلها مثمرة مجدية محققة للهدف الشرعي منها. ويعقد اللقاءات العلمية المنتظمة والمجدولة الأسبوعية منها والشهرية والسنوية. ويجرر الفتاوى التي كتب الله قبولها عند الناس فاطمأنوا لها ولاختياراته الفقهية. وينشر عبر وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة ومن خلال الأشرطة دروسه ومحاضراته وبرامجه العلمية عبر البرنامج الإذاعي المشهور **«نور على الدرب»** وغيره من البرامج.

وأخيراً توجت جهوده العلمية وخدمته العظيمة التي قدمها للناس في مؤلفاته العديدة ذات القيمة العلمية من كتب ورسائل وشروح للمتون العلمية طبقت شهرتها الآفاق وأقبل عليها طلبة العلم في أنحاء العالم وقد بلغت مؤلفاته أكثر من تسعين كتاباً ورسالة، ثم لانسى تلك الكنوز العلمية الثمينة المحفوظة في أشرطة الدروس والمحاضرات فإنها تقدر بالآلاف الساعات فقد بارك الله تعالى في وقت هذا العالم الجليل وعمره نسأل الله تعالى أن يجعل كل خطوة خطاها في تلك الجهود الخيرة النافعة في ميزان حسناته يوم القيامة.

وقد أخذت مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية التي أنشئت هذا العام 1422 هـ على عاتقها مسئولية العناية والاهتمام بهذا التراث الضخم الذي خلفه شيخنا رحمته على تحقيق ذلك الهدف السامي الذي ينشده الجميع لجعل ذلك العلم الغزير متاحاً للجميع في مختلف الوسائل الممكنة بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه.

### ملامح من مناقبه وصفاته الشخصية

كان الشيخ رحمته قدوة صالحة ونموذجاً حياً فلم يكن علمه مجرد دروس ومحاضرات تلقى على أسماع الطلبة وإنما كان مثلاً يحتذى في علمه وتواضعه وحلمه وزهده ونبيل أخلاقه. تميز بالحلم والصبر والجلد والجدية في طلب العلم وتعليمه وتنظيم وقته والحفاظ على كل لحظة من عمره كان بعيداً عن التكلف وكان قمة في التواضع والأخلاق الكريمة والخصال الحميدة وكان بوجهه البشوش اجتماعياً يخالط الناس ويؤثر فيهم، ويدخل السرور إلى قلوبهم ترى السعادة تملو حياه وهو يلقي دروسه ومحاضراته رحمته.

كان رحمته عطوفاً مع الشباب يستمع إليهم ويناقشهم ويمنحهم الوعظ والتوجيه بالرفق واللين والإفناع.

كان حريصاً على تطبيق السنة في جميع أموره. ومن ورعه أنه كان كثير الثبث فيما يفتي ولا يتسرع في الفتوى قبل أن يظهر له الدليل فكان إذا أشكل عليه أمر من أمور الفتوى يقول: انتظر حتى أتأمل المسألة، وغير ذلك من العبارات التي توحى بورعه وحرصه على التحرير الدقيق للمسائل الفقهية.

لم تفتر عزيمته في سبيل نشر العلم حتى إنه في رحلته العلاجية إلى الولايات المتحدة الأمريكية قبل ستة أشهر من وفاته نظم العديد من المحاضرات في المراكز الإسلامية والتقى بجموع المسلمين من الأمريكيين وغيرهم ووعظهم وأرشدهم كما أمهم في صلاة الجمعة.

وكان يحمل هم الأمة الإسلامية وقضاياها في مشارق الأرض ومغاربها وقد وصل مسيرته التعليمية والدعوية بعد عودته من رحلته العلاجية فلم تمنعه شدة المرض من الاهتمام بالتوجيه والتدريس في الحرم المكي حتى قبل وفاته بأيام.

أصابه المرض فتلقى قضاء الله بنفس صابرة راضية محتسبة، وقدم للناس نموذجاً حياً صالحاً يقتدى به لتعامل المؤمن مع المرض المضني، نسأل الله تعالى أن يكون في هذا رفعة لمنزلته عند رب العالمين.

كان رحمته يستمع إلى شكاوى الناس ويقضي حاجاتهم قدر استطاعته وقد خصص لهذا العمل الخيري وقتاً محدداً في كل يوم لاستقبال هذه الأمور وكان يدعم جمعيات البر وجمعيات تحفيظ القرآن بل قد من الله عليه ووقفه لجميع أبواب البر والخير ونفع الناس فكان شيخنا بحق مؤسسة خيرية اجتماعية وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

### وفاته رحمته

رزئت الأمة الإسلامية جميعها قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال سنة 1421 هـ بإعلان وفاة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية وأحس بوقع المصيبة كل بيت في كل مدينة وقرية وصار الناس يتبادلون

التعازي في المساجد والأسواق والمجمعات وكل فرد يحس وكأن المصيبة مصيبته وحده ورفعت البرقيات لتعزية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وصاحب السمو الملكي ولي العهد وصاحب السمو الملكي النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء - حفظهم الله - بفقد البلاد وفقد المسلمين جميعاً وأخذ البعض يتأمل ويتساءل عن سر هذه العظمة والمكانة الكبيرة والمحبة العظيمة التي امتلكها ذلك الشيخ الجليل في قلوب الناس رجالاً ونساء صغاراً وكباراً، امتلأت أعمدة الصحف والمجلات في الداخل والخارج شعراً ونثراً تعبر عن الأسى والحزن على فراق ذلك العالم الجليل فقيد البلاد والأمة الإسلامية، ﷺ.

وصلى على الشيخ في المسجد الحرام بعد صلاة العصر يوم الخميس السادس عشر من شهر شوال سنة 1421 هـ الآلاف المؤلفة وشيعته إلى المقبرة في مشاهد عظيمة لا تكاد توصف ثم صلى عليه من الغد بعد صلاة الجمعة صلاة الغائب في جميع مدن المملكة وفي خارج المملكة جموع أخرى لا يحصيها إلا باريها، ودفن بمكة المكرمة ﷺ رحمة واسعة.

إن القبول في قلوب الناس منة عظيمة من الله تعالى لمن يشاء من عباده، ولقد أجمعت القلوب على محبته وقبوله وإنا لنرجو الله سبحانه وتعالى، متضرعين إليه أن يكون الشيخ ممن قال النبي ﷺ: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل أن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض»

وخلف ﷺ خمسة من البنين هم: عبد الله وعبد الرحمن وإبراهيم وعبد العزيز وعبد الرحيم، جعل الله فيهم الخير والبركة والخلف الصالح. وبوفاته فقدت البلاد والأمة الإسلامية علماً من أبرز علمائها وصلحاء رجالها الذين يذكروننا بسلفنا الصالح في عبدتهم ونهجهم وحبهم لنشر العلم ونفعهم لإخوانهم المسلمين.

نسأل الله تعالى أن يرحم شيخنا رحمة الأبرار ويسكنه فسيح جناته وأن يغفر له ويجزيه عما قدم للإسلام والمسلمين خيراً ويعوض المسلمين بفقده خيراً والحمد لله على قضائه وقدره وإنا لله وإنا إليه راجعون وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

## الماتن

بسم (1) الله (2) الرحمن (3) الرحيم (4) اعلم (5) رحمك الله (6) أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل (7) : الأولى: العلم، وهو: معرفة الله (8).....

(1) ابتداء المؤلف ﷺ كتابه بالبسملة اقتداء بكتاب الله - عز وجل - فإنه مبدوء بالبسملة، واتباعاً لحديث «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بيسم الله فهو أبت» واقتداء بالرسول ﷺ فإنه يبدأ كتبه بالبسملة.

والجار والمجرور متعلق بمحذوف فعل مؤخر مناسب للمقام، تقديره: باسم الله أكتب أو أصنف.

وقدرناه فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال.

وقدرناه مؤخرًا لفائدتين:

**الأولى:** التبرك بالبداة باسم الله سبحانه وتعالى.

**الثانية:** إفادة الحصر لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

وقدرناه مناسباً لأنه أدل على المراد، فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتاباً: باسم الله نبتدئ، لكن باسم الله أقرأ يكون أدل على المراد الذي أبتدئ به.

(2) **الله:** علم على الباري - جل وعلا - وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء

حتى إنه في قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ①﴾ **الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ووَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** ﴿[إبراهيم: 1-2] لا نقول إن لفظ الجلالة «الله» صفة، بل نقول هي عطف بيان لثلاثي يكون لفظ الجلالة تابعاً تبعية النعت للمنعوت.

(3) **الرحمن:** اسم من الأسماء المختصة بالله - عز وجل - لا يطلق على غيره،

والرحمن معناه: المتصف بالرحمة الواسعة.

(4) **الرحيم:** يطلق على الله - عز وجل - وعلى غيره، ومعناه ذو الرحمة الواصلة،

فالرحمن ذو الرحمة الواسعة، والرحيم ذو الرحمة الواصلة، فإذا جُمعا صار المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده كما قال الله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ

وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: 21]



(5) **العلم**: هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا. ومراتب الإدراك ست:

**الأولى**: العلم، هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

**الثانية**: الجهل البسيط، وهو عدم الإدراك بالكلية.

**الثالثة**: الجهل المركب، وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.

**الرابعة**: الوهم، وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.

**الخامسة**: الشك، وهو إدراك الشيء مع احتمالٍ مساوٍ.

**السادسة**: الظن، وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري.

**فالضروري**: ما يكون إدراك المعلوم فيه ضروريًا بحيث يضطر إليه من غير نظر

ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلًا.

**النظري**: ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجود النية في الوضوء.

(6) **رحمك الله**: أفاض عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو

من محذورك، فالمعنى غفر الله لك ما مضى من ذنوبك، ووقفك وعصمك فيما

يستقبل منها، هذا إذا أفردت الرحمة، أما إذا قرنت بالمغفرة؛ فالمغفرة لما مضى من

الذنوب، والرحمة والتوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل.

وصنيع المؤلف رحمته يدل على عنايته وشفقته بالمخاطب وقصد الخير له.

(7) هذه المسائل التي ذكرها المؤلف رحمته تشمل الدين كله، فهي جديرة

بالعناية لعظم نفعها.

(8) أي معرفة الله -عز وجل- بالقلب معرفة تستلزم قبول ما شرعه

والإذعان والانقياد له، وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله صلى الله عليه وسلم، ويتعرف

العبد على ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله -عز وجل- وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، فإن الإنسان كلما نظر في تلك

الآيات ازداد علمًا بخالقه ومعبوده؛ قال الله عز وجل: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: 20-21]

ومعرفة نبيه (1) ومعرفة دين الإسلام (2).

(1) أي معرفة رسوله محمد ﷺ المعرفة التي تستلزم قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق، وتصديقه فيما أخبر، وامثال أمره فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتحكيم شريعته والرضا بحكمه، قال الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النساء: 59]. وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمُ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]. قال الإمام أحمد رحمه الله: «أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك».

(2) قوله: **معرفة دين الإسلام:** الإسلام بالمعنى العام هو التبعيد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكر -عز وجل- ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل؛ قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرَيْتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةً﴾ [البقرة: 128].

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ﷺ يختص بما بعث به محمد ﷺ لأن ما بعث به النبي ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلمًا، ومن خالفه ليس بمسلم، فأتباع الرسل مسلمون في زمن رسلهم، فاليهود مسلمون في زمن موسى ﷺ والنصارى مسلمون في زمن عيسى ﷺ وأما حين بعث النبي محمد ﷺ فكفروا به فليسوا بمسلمين.

وهذا الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله النافع لصاحبه، قال الله -عز وجل- ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19] وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85] وهذا الإسلام هو الإسلام الذي امتن به على محمد ﷺ وأمه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُن لَكُمْ دِينُكُمْ وَدِينُكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]

بالأدلة (1)، الثانية: العمل به (2)، الثالثة: الدعوة إليه (3).

(1) قوله: بالأدلة: جمع دليل، وهو ما يرشد إلى المطلوب، والأدلة على معرفة ذلك سمعية، وعقلية:

**فالسَّمْعِيَّةُ:** ما ثبت بالوحي، وهو الكتاب والسنة، **والعقلية:** ما ثبت بالنظر والتأمل، وقد أكثر الله - عز وجل - من ذكر هذا النوع في كتابه، فكم من آية قال الله فيها: «ومن آياته كذا وكذا» وهكذا يكون سياق الأدلة العقلية الدالة على الله تعالى.

**وأما معرفة النبي ﷺ بالأدلة السمعية:** فمثل قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [الفتح: 29] الآية. وقوله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾

[آل عمران: 144]. بالأدلة العقلية بالنظر والتأمل فيما أتى به من الآيات البينات التي أعظمها كتاب الله - عز وجل - المشتمل على الأخبار الصادقة النافعة والأحكام

المصلحة العادلة، وما جرى على يديه من خوارق العادات، وما أخبر به من أمور الغيب التي لا تصدر إلا عن وحي والتي صدقها ما وقع منها.

(2) قوله: العمل به. أي العمل بما تقتضيه هذه المعرفة من الإيمان بالله، والقيام بطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه من العبادات الخاصة، والعبادات المتعدية، فالعبادات الخاصة مثل: الصلاة، والصوم، والحج، والعبادات المتعدية: كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وما أشبه ذلك.

والعمل في الحقيقة هو ثمرة العلم، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصراني، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود.

(2) أي الدعوة إلى ما جاء به الرسول ﷺ من شريعة الله تعالى على مراتبها الثلاث أو الأربع التي ذكرها الله - عز وجل - في قوله: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125] والرابعة قوله: ﴿ وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾

[العنكبوت: 46].

ولا بد لهذه الدعوة من علم بشريعة الله - عز وجل - حتى تكون الدعوة عن علم وبصيرة؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: 108] والبصيرة تكون فيما يدعو إليه، بأن يكون الداعية عالماً بالحكم الشرعي، وفي كيفية الدعوة، وفي حال المدعو. ومجالات الدعوة كثيرة منها: الدعوة إلى الله تعالى بالخطابة، وإلقاء المحاضرات. ومنها: الدعوة إلى الله بالمقالات. ومنها: الدعوة إلى الله بحلقات العلم. ومنها: الدعوة إلى الله بالتأليف ونشر الدين عن طريق التأليف. ومنها: الدعوة إلى الله في المجالس الخاصة، فإذا جلس الإنسان في مجلس في دعوة - مثلاً - فهذا مجال للدعوة إلى الله - عز وجل - ولكن ينبغي أن تكون على وجه لا ملل فيه ولا إثقال، ويحصل هذا بأن يعرض الداعية مسألة علمية على الجالسين، ثم تبتدئ المناقشة، ومعلوم أن المناقشة والسؤال والجواب له دور كبير في فهم ما أنزل الله على رسوله وتفهمه، وقد يكون أكثر فعالية من إلقاء خطبة أو محاضرة إلقاء مرسلًا كما هو معلوم.

والدعوة إلى الله - عز وجل - هي وظيفة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وطريقة من تبعهم بإحسان، فإذا عرف الإنسان معبوده، ونبیه، ودينه ومن الله عليه بالتوفيق لذلك فإن عليه السعي في إنقاذ إخوانه بدعوتهم إلى الله - عز وجل - وليسر بالخير، قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم» متفق على صحته. ويقول ﷺ فيما رواه مسلم: «من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». وقال ﷺ فيما رواه مسلم أيضاً: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله».

## الرابعة: الصبر على الأذى فيه (1).

**الصبر:** حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله؛ فيحبس النفس عن التسخط والتضجر والملل، ويكون دائماً نشيطاً في الدعوة إلى دين الله وإن أُوذي؛ لأن أذية الداعين إلى الخير من طبيعة البشر إلا من هدى الله، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كَذَبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ [الأنعام: 34] وكلما قويت الأذية قُرب النصر، وليس النصر مختصاً بأن ينصر الإنسان في حياته ويرى أثر دعوته قد تحقق، بل النصر يكون ولو بعد موته بأن يجعل الله في قلوب الخلق قبولاً لما دعا إليه، وأخذاً به، وتمسكاً به؛ فإن هذا يعتبر نصراً لهذا الداعية وإن كان ميتاً، فعلى الداعية أن يكون صابراً على دعوته مستمراً فيها، صابراً على ما يدعو إليه من دين الله عز وجل، صابراً على ما يعترض دعوته، صابراً على ما يعترضه هو من الأذى، وها هم الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - أُوذوا بالقول وبالفعل؛ قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: 52] وقال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: 31] ولكن على الداعية أن يقابل ذلك بالصبر وانظر إلى قول الله - عز وجل - لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: 23] كان من المنتظر أن يقال فاشكر نعمة ربك، ولكنه عز وجل قال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: 24] وفي هذا إشارة إلى أن كل من قام بهذا القرآن فلا بد أن يناله ما يناله مما يحتاج إلى صبر، وانظر إلى حال النبي ﷺ حين ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» فعلى الداعية أن يكون صابراً محتسباً.

## والصبر ثلاثة أقسام:

- 1 - صبر على طاعة الله.
- 2 - صبر عن محارم الله.
- 3 - صبر على أقدار الله التي يجريها، إما مما لا كسب للعباد فيه، وإما مما يجريه الله على أيدي بعض العباد من الإيذاء والاعتداء.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ (1).

(1) قوله: **والدليل**: أي على هذه المراتب الأربع قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ أقسم الله - عز وجل - في هذه السورة بالعصر الذي هو الدهر، وهو محل الحوادث من خير وشر، فأقسم الله - عز وجل - به على أن الإنسان كل الإنسان في خسر إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع: الإيثار، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

قال ابن القيم رحمته الله: «جهاد النفس أربع مراتب: **إحداها**: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

**الثانية**: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه.  
**الثالثة**: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه.  
**الرابعة**: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين».

فالله - عز وجل - أقسم في هذه السورة بالعصر على أن كل إنسان فهو في خيبة وخسر مهما كثر ماله وولده وعظم قدره وشرفه إلا من جمع هذه الأوصاف الأربعة: **أحدها**: الإيثار، ويشمل كل ما يقرب إلى الله - تعالى - من اعتقاد صحيح وعلم نافع.  
**الثاني**: العمل الصالح، وهو كل قول أو فعل يقرب إلى الله بأن يكون فاعله الله مخلصاً ولمحمد صلى الله عليه وسلم متبعاً.

**الثالث**: التواصي بالحق، وهو التواصي على فعل الخير والحث عليه والترغيب فيه.  
**الرابع**: التواصي بالصبر، بأن يوصي بعضهم بعضاً بالصبر على فعل أوامر الله تعالى، وترك محارم الله، وتحمل أقدار الله.

والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، يتضمنان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين بهما قوام الأمة وصلاتها ونصرها وحصول الشرف والفضيلة لها ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]

قال الشافعي - رحمه الله (1) -: «لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم»  
 (2) وقال البخاري - رحمه الله (3) -: «باب العلم قبل القول والعمل.. والدليل قوله  
 تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ ﴾ [حمد: 19]، فبدأ بالعلم قبل  
 القول والعمل (4).

(1) الشافعي هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي، ولد في غزة سنة 150 هـ وتوفي بمصر سنة 204 هـ وهو أحد الأئمة الأربعة، على الجميع رحمة الله تعالى.

(2) مراده رحمه الله أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة.

وقوله: «لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم» لأن العاقل البصير إذا سمع هذه السورة أو قرأها فلا بد أن يسعى إلى تخليص نفسه من الخسران، وذلك باتصافه بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

(3) البخاري: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد ببخارى في شوال سنة أربعة وتسعين ومائة، ونشأ يتيمًا في حجر والدته، وتوفي رحمه الله في «خرتنك» بلدة على فرسخين من «سمرقند» ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

(4) استدل البخاري رحمه الله بهذه الآية على وجوب البداية بالعلم قبل القول والعمل، وهذا دليل أثري يدل على أن الإنسان يعلم أولاً ثم يعمل ثانيًا، وهناك دليل عقلي نظري يدل على أن العلم قبل القول والعمل، وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحًا مقبولًا حتى يكون على وفق الشريعة، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله على وفق الشريعة إلا بالعمل، ولكن هناك أشياء يعلمها الإنسان بفطرته كالعلم بأن الله إله واحد، فإن هذا قد فطر عليه العبد؛ ولهذا لا يحتاج إلى عناء كبير في التعلم، أما المسائل الجزئية المنتشرة فهي التي تحتاج إلى تعلم وتكريس جهود.

اعلم -رحمك الله-: أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهن: الأولى: أن الله خلقنا (1).

(1) ودليل ذلك -أعني أن الله خلقنا- سمعي وعقلي:

**أما السمعي:** فكثير، ومنه قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ. ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 2] وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: 11] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 15] وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: 29] وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14] ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: 62] وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: 96] وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] إلى غير ذلك من الآيات.

**أما الدليل العقلي على أن الله خلقنا:** فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35] فإن الإنسان لم يخلق نفسه لأنه قبل وجوده عدم، والعدم ليس بشيء، وما ليس بشيء لا يوجد شيئاً، ولم يخلقه أبوه ولا أمه ولا أحد من الخلق، ولم يكن ليأتي صدفة بدون موجب؛ لأن كل حادث لا بد له من محدث؛ ولأن وجود هذه المخلوقات على هذا النظام والتناسق المتألف يمنع منعا باتاً أن يكون صدفة. إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟! فتعين بهذا أن يكون الخالق هو الله وحده، فلا خالق ولا أمر إلا الله، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54].

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله -سبحانه وتعالى- إلا على وجه المكابرة كما حصل من فرعون، وعندما سمع جبير بن مطعم رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور، فبلغ قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُؤْفِكُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾ [الطور: 35-37] وكان جبير بن مطعم يومئذ مشركاً فقال: «كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي».



ورزقنا (1) ولم يتركنا هملاً (2).

(1) أدلة هذه المسألة كثيرة من الكتاب والسنة والعقل:

**أما الكتاب:** فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [النار: 58] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: 31] والآيات في هذا كثيرة.

**وأما السنة:** فمنها قوله ﷺ في الجنين: «يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله، وعمله وشقي أم سعيد».

**وأما الدليل العقلي على أن الله رزقنا:** فلائنا لا نعيش إلا على طعام وشراب، والطعام والشراب خلقه الله - عز وجل - كما قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿١١٢﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿١٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَلًا فَظَلَمْتُمْ فَتَكْهُونُ ﴿١٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿١٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿١٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿١٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿١٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿١٧٠﴾ [الواقعة: 63-70] ففي هذه الآيات بيان إن رزقنا طعامًا وشرابًا من عند الله عز وجل.

(2) هذا هو الواقع الذي تدل عليه الأدلة السمعية والعقلية:

**أما السمعية:** فمنها قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المؤمنين: 115-116] وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُعْتَقَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخَيَّرَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: 36-40].

**وأما العقل:** فلأن وجود هذه البشرية لتحيا ثم تتمتع كما تتمتع الأنعام ثم تموت إلى غير بعث ولا حساب؛ أمر لا يليق بحكمة الله - عز وجل - بل هو عبث محض، ولا يمكن أن يخلق الله هذه الخليقة، ويرسل إليها الرسل، ويبعث لنا دماء المعارضين المخالفين للرسل - عليهم الصلاة والسلام - ثم تكون النتيجة لا شيء، هذا مستحيل على حكمة الله عز وجل.

## بل أرسل إلينا رسولا (2).

(2) أي أن الله - عز وجل - أرسل إلينا - معشر هذه الأمة أمة محمد ﷺ - رسولا يتلو علينا آيات ربنا، ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، كما أرسل إلى من قبلنا، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: 24] ولا بد أن يرسل إلى الخلق لتقوم عليهم الحجة وليعبدوا الله بما يحبه ويرضاه، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهُارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَعَائِشَةَ دَاوُدَ زُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 163-165] ولا يمكن أن نعبد الله بما يرضاه إلا عن طريق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - لأنهم هم الذين بينوا لنا ما يحبه الله ويرضاه، وما يقربنا إليه عز وجل، فبذلك كان من حكمة الله أن أرسل إلى الخلق رسلا مبشرين ومنذرين. الدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ [الزمل: 15-16].

(2) هذا حق مستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 132-133] ومن قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء: 13] ومن قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [التور: 52] وقوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: 69]. وقوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 71] والآيات في ذلك كثيرة.

من عصاه دخل النار (1)، والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيًّا ﴾ [الزمل: 15-16]. الثانية: (2) أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل. والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: 18].

ومن قوله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» فقيل: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار» رواه البخاري.

(1) هذا أيضًا حق مستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: 14] وقوله: ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: 36] وقوله: ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الجن: 23] ومن قوله ﷺ في الحديث السابق: «ومن عصاني دخل النار».

(2) أي المسألة الثانية مما يجب علينا علمه أن الله - سبحانه وتعالى - لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، بل هو وحده المستحق للعبادة، ودليل ذلك ما ذكره المؤلف ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: 18] فنهى الله تعالى أن يدعو الإنسان مع الله أحدًا، والله لا ينهى عن شيء إلا وهو لا يرضاه سبحانه وتعالى، وقال الله عز وجل: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: 7] وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: 69].

فالكفر والشرك لا يرضاه الله - سبحانه وتعالى - بل إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لمحاربة الكفر والشرك والقضاء عليهما، قال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: 39] وإذا كان الله لا يرضى بالكفر والشرك، فإن الواجب على المؤمن أن لا يرضى بهما، لأن المؤمن رضاه وغضبه تبع رضا الله وغضبه، فيغضب لما يغضب الله، ويرضى بما يرضاه الله - عز وجل -، وكذلك إذا كان الله لا يرضى الكفر ولا الشرك فإنه لا يليق بمؤمن أن يرضى بهما.

الثالثة: ان من اطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان اقرب قريب، والدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

والشرك أمره خطير، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72] وقال النبي ﷺ: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار».

(1) أي المسألة الثالثة مما يجب علينا علمه: الولاء والبراء، والولاء والبراء أصل عظيم، جاءت فيه النصوص الكثيرة، قال الله عز وجل: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ حَبَالًا﴾ [آل عمران: 718]. وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِّنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51] وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُرُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 57] وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) قل إن كان ءاباؤكم وانبأؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجدرٌ تخشون كسآدها ومسكنٌ ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فترَبصوا حتى يأتيك الله بأمره، والله لا يهدي القومَ الفاسقين﴾ [التوبة: 23-24]. وقال عز وجل: ﴿فَدَ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحة: 4] الآية. ولأن موالاة من حاد الله ومداراته تدل على أن ما في قلب الإنسان من الإيمان بالله ورسوله ضعيف؛ لأنه ليس من العقل أن يجب الإنسان شيئاً هو عدو لمحبوبه.

اعلم (1) - ارشدك الله (2) لطاعته (3) - أن الحنيفية (4) ملة (5) إبراهيم (6): أن: تعبد الله وحده (7) مخلصاً له الدين (8)،

وموالاته الكفار تكون بمناصرتهم ومعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال، وموادتهم تكون بفعل الأسباب التي تكون بها مودتهم، فتجده يوادهم؛ أي: يطلب ودهم بكل طريق، وهذا لا شك ينافي الإيمان كله أو كماله، فالواجب على المؤمن معاداة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب إليه، وبغضه والبعد عنه، ولكن هذا لا يمنع نصيحته ودعوته للحق.

- (1) تقدم الكلام على العلم فلا حاجة إلى إعادته هنا.
- (2) الرشد: الاستقامة على طريق الحق.
- (3) الطاعة: موافقة المراد فعلاً للمأمور وتركاً للمحذور.
- (4) الحنيفية: هي الملة المائلة عن الشرك، المبنية على الإخلاص لله عز وجل.
- (5) أي طريقه الديني الذي يسير عليه، عليه الصلاة والسلام.
- (6) إبراهيم هو خليل الرحمن قال عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنَّ سَمًا تَقُولُ لَهُمْ السَّمَاءُ السَّمَاءُ الْيَوْمَ إِنَّكُمْ كَائِمُونَ﴾ [النساء: 1] وهو أبو الأنبياء، وقد تكرر ذكر منهجه في مواضع كثيرة للإقتداء به.
- (7) قوله: «أن تعبد الله»: هذه خبر «أن» في قول «أن الحنيفية».

والعبادة بمفهومها العام هي «التذلل لله محبة وتعظيمًا بفعل أو امره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه». أما المفهوم الخاص للعبادة - يعني تفصيلها - فقد قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمته الله: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من: الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف، والخشية، والتوكل والصلاة والزكاة، والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام».

- (8) الإخلاص هو التنقية، والمراد به أن يقصد المرء بعبادته وجه الله - عز وجل - والوصول إلى دار كرامته بحيث لا يعبد معه غيره لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123]. وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْعُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٣٠] إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 130-132].

وبذلك (1) أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56] ومعنى يعبدون: يوحدون (2). وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو: إفراد الله بالعبادة (3)

(1) أي بالحنيفة، وهي عبادة الله مخلصاً له الدين، أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 25] وبين الله - عز وجل - في كتابه أن الخلق إنما خلقوا لهذا، فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56].

(2) يعني التوحيد من معنى العبادة، وإلا فقد سبق لك معنى العبادة، وعلى أي شيء تطلق، وأنها أعم من مجرد التوحيد. واعلم أن العبادة نوعان:

**عبادة كونية:** وهي الخضوع لأمر الله - تعالى - الكوني، وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مریم: 93] فهي شاملة للمؤمن والكافر، والبر والفاجر.

**والثاني عبادة شرعية:** وهي الخضوع لأمر الله - تعالى - الشرعي، وهذه خاصة بمن أطاع الله - تعالى - واتبع ما جاءت به الرسل، مثل قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: 63]. فالنوع الأول لا يحمد عليه الإنسان لأنه بغير فعله، لكن قد يحصل منه من شكر عند الرخاء وصبر على البلاء، بخلاف النوع الثاني فإنه يحمد عليه.

(3) **التوحيد لغة:** مصدر وحد يوحده؛ أي: جعل الشيء واحداً، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد، وإثباته له، فمثلاً نقول: إنه لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله تعالى، ويثبتها لله وحده.

**وفي الاصطلاح:** عرفه المؤلف بقوله: «التوحيد هو إفراد الله بالعبادة» أي أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، لا تشرك به نبياً مرسلًا، ولا ملكًا مقربًا ولا رئيسًا ولا ملكًا ولا أحدًا من الخلق، بل تفردده وحده بالعبادة محبة وتعظيمًا، ورغبة ورهبة.

ومراد الشيخ رحمته الله التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه لأنه هو الذي حصل به الإخلال من أقوامهم.

وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: «إفراد الله - سبحانه وتعالى - بما يختص به».

### أنواع التوحيد ثلاثة:

**الأول: توحيد الربوبية:** وهو «إفراد الله - سبحانه وتعالى - بالخلق، والملك والتدبير» قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: 62] وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر: 3] وقال تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: 1] وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

**الثاني: توحيد الألوهية:** وهو «إفراد الله - سبحانه وتعالى - بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه».

**الثالث: توحيد الأسماء والصفات:** وهو «إفراد الله تعالى بما سمي به نفسه ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بإثبات ما أثبتته، ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكيف، ولا تمثيل».

ومراد المؤلف هنا توحيد الألوهية، وهو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم واستباح دمهم وأموالهم وأرضهم وديارهم وسبى نساءهم وذريتهم، وأكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِئُوا بِاللَّهِ﴾ [النحل: 29].

فالعبادة لا تصح إلا لله - عز وجل - ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، فلو فرض أن رجلاً يقر إقراراً كاملاً بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، ولكنه يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قرباناً يتقرب به إليه فإنه مشرك كافر خالد في النار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72].

وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله، ولهذا بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به.

وأعظم ما نهى عنه الشرك. وهو: دعوة غيره معه، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (1) [النساء: 36].

(1) أعظم ما نهى الله عنه الشرك؛ وذلك لأن أعظم الحقوق هو حق الله - عز وجل - فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط في أعظم الحقوق وهو توحيد الله - عز وجل - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48] وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 116] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48] وقال النبي ﷺ: «أعظم الذنب أن تجعل لله نداً وهو خلقك». وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار» وقال النبي ﷺ «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار» رواه البخاري.

واستدل المؤلف رضي الله عنه لأمر الله تعالى بالعبادة ونهيه عن الشرك بقوله عز وجل: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36] فأمر الله - سبحانه وتعالى - بعبادته ونهى عن الشرك به، وهذا يتضمن إثبات العبادة له وحده، فمن لم يعبد الله - سبحانه وتعالى - بعبادته ونهى عن الشرك به، وهذا يتضمن إثبات العبادة له وحده، فمن لم يعبد الله فهو كافر مستكبر، ومن عبد الله وعبد معه غيره فهو كافر مشرك، ومن عبد الله وحده فهو مسلم مخلص.

### والشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر.

فالنوع الأول: الشرك الأكبر: وهو كل شرك أطلقه الشارع وكان متضمناً لخروج الإنسان عن دينه.

النوع الثاني: الشرك الأصغر: وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا يخرج عن الملة.

وعلى الإنسان الحذر من الشرك أكبره وأصغره، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48].



فإذا قيل لك: ما الأصول (1) الثلاثة التي يجب على الإنسان. معرفتها (2)؟ فقل: معرفة العبد ربه (3) ودينه (4).

(1) الأصول جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرغ منه الأغصان، قال الله تعالى: ﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: 24].

وهذه الأصول الثلاثة يشير بها المصنف رحمه الله إلى الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

(2) أورد المؤلف **رحمته** هذه المسألة بصيغة السؤال، وذلك من أجل أن يتتبع الإنسان لها؛ لأنها مسألة عظيمة وأصول كبيرة؛ وإنما قال: إن هذه هي الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها لأنها هي الأصول التي يسأل عنها المرء في قبره إذا دفن وتولى عنه أصحابه، أتاه ملكان فأقعداه فسألاه من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد. وأما المرتاب أو المنافق فيقول: هاها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

(3) معرفة الله تكون بأسباب:

منها: النظر والتفكير في مخلوقاته - عز وجل - فإن ذلك يؤدي إلى معرفته ومعرفة عظيم سلطانه وتمام قدرته، وحكمته، ورحمته، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 185].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْئِئًا وَفَرْدَىٰ ثُمَّ تُنْفَكُوا﴾ [سبأ: 46] وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي

الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 190].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَذِنَ لِقَوْمٍ يُشْكِرُونَ﴾ [يونس: 6].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْمَاءِ فَأَخْبَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَضَرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَذِنَ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164].

**ومن أسباب معرفة العبد ربه:** النظر في آياته الشرعية وهي الوحي الذي جاء به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- فينظر في هذه الآيات وما فيها من المصالح العظيمة التي لا تقوم حياة الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا بها، فإذا نظر فيها وتأملها وما اشتملت عليه من العلم والحكمة ووجد انتظامها موافقتها لمصالح العباد؛ عرف بذلك ربه -عز وجل- كما قال الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 52].

ومنها ما يلقي الله -عز وجل- في قلب المؤمن من معرفة الله -سبحانه وتعالى- حتى كأنه يرى ربه رأي العين، قال النبي -عليه الصلاة والسلام- حين سأله جبريل: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

(4) أي معرفة الأصل الثاني، وهو دينه الذي كلف العمل به ما تضمنه من الحكمة والرحمة ومصالح الخلق، ودرء المفسد عنها، ودين الإسلام من تأمله حق التأمل تأملًا مبيّنًا على الكتاب والسنة عرف أنه دين الحق، وأنه الدين الذي لا تقوم مصالح الخلق إلا به، ولا ينبغي أن نقيس الإسلام بما عليه المسلمون اليوم، فإن المسلمين قد فرطوا في أشياء كثيرة وارتكبوا محاذير عظيمة حتى كأن العائش بينهم في بعض البلاد الإسلامية يعيش في جو غير إسلامي.

والدين الإسلامي -بحمد الله تعالى- متضمن لجميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة متميز عليها بكونه صالحًا لكل زمان ومكان وأمة، ومعنى كونه صالحًا لكل زمان ومكان وأمة: أن التمسك به لا ينافي مصالح الأمة في أي زمان ومكان وأمة، فدين الإسلام يأمر بكل عمل صالح وينهى عن كل عمل سيء، فهو يأمر بكل خلق فاضل، وينهى عن كل خلق سافل.

ونبيه محمدًا ﷺ (1). فإذا قيل لك: من ربك (2) فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه (3)، وهو معبودي ليس لي معبود سواه (4) والدليل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (5) [الفاتحة: 2] وكل ما سوى الله عالم.

(1) هذا هو الأصل الثالث، وهو معرفة الإنسان نبيه محمدًا ﷺ وتحصل بدراسة حياة النبي ﷺ وما كان عليه من العبادة، والأخلاق، والدعوة إلى الله - عز وجل، والجهاد في سبيله، وغير ذلك من جوانب حياته عليه الصلاة والسلام، ولهذا ينبغي لكل إنسان يريد أن يزداد معرفة بنبيه، وإيمانًا به أن يطالع من سيرته ما تيسر في حربه وسلمه، وشدته ورخائه، وجميع أحواله، نسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا من المتبعين لرسوله ﷺ باطنًا وظاهرًا، وأن يتوفانا على ذلك، إنه وليه والقادر عليه.

(2) أي من هو ربك الذي خلقك، وأمدك، وأعدك، ورزقك؟

(3) التربية: هي عبارة عن الرعاية التي يكون بها تقويم الربى، ويشعر كلام المؤلف ﷺ أن الرب مأخوذ من التربية لأنه قال: «الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه» فكل العالمين قد رباهم الله بنعمه وأعدهم لما خلقوا له، وأمدهم برزقه؛ قال الله - تبارك وتعالى - في محاوره موسى وفرعون: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمْ يَنْمُونِ﴾ (١١) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿ [طه: 49-50]. فكل أحد من العالمين قد رباه الله - عز وجل - بنعمه. ونعم الله - عز وجل - على عباده كثيرة، لا يمكن حصرها، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصِيهَا﴾ [النحل: 18] فالله هو الذي خلقك وأعدك، وأمدك ورزقك فهو وحده المستحق للعبادة.

(4) أي وهو الذي أعبدته وأتذلل له خضوعًا ومحبة وتعظيمًا، أفعل ما يأمرني به، وأترك ما ينهاني عنه، فليس لي أحد أعبده سوى الله - عز وجل -، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25] وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: 5].

(5) استدل المؤلف ﷺ لكون الله - سبحانه وتعالى - مربيًا لجميع الخلق بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] يعني الوصف بالكمال والجلال والعظمة لله تعالى وحده. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي مربيهم بالنعم وخالقهم ومالكهم، والمدبر لهم كما شاء عز وجل.

وأنا واحد من ذلك العالم (1). فإذا قيل لك: بم عرفت ربك (2)؟ فقل: بآياته ومخلوقاته (3). ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيها وما بينهما (4)

(1) العالم: كل من سوى الله، وسموا عالمًا لأنهم علم على خالقهم ومالكهم ومدبرهم، ففي كل شيء آية لله تدل على أنه واحد. وأنا -المجيب بهذا- واحد من ذلك العالم، وإذا كان ربي وجب علي أن أعبده وحده.

(2) أي إذا قيل لك: بأي شيء عرفت الله عز وجل؟ فقل: عرفته بآياته ومخلوقاته.

(3) الآيات: جمع آية، وهي العلامة على الشيء التي تدل عليه وتبينه.

وآيات الله تعالى نوعان: كونية وشرعية: فالكونية هي المخلوقات، والشرعية هي الوحي الذي أنزله الله على رسله، وعلى هذا يكون قول المؤلف رحمه الله «بآياته ومخلوقاته» من باب العطف الخاص على العام؛ إذا فسرنا الآيات بأنها الآيات الكونية والشرعية. وعلى كل فالله -عز وجل- يعرف بآياته الكونية، وهي المخلوقات العظيمة، وما فيها من عجائب الصنعة وبالغ الحكمة، وكذلك يعرف بآياته الشرعية وما فيها من العدل، والاشتمال على المصالح، ودفع المفاسد.

**وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد**

(4) كل هذه من آيات الله الدالة على كمال القدرة، وكمال الحكمة، وكمال الرحمة، فالشمس آية من آيات الله -عز وجل- لكونها تسير سيرًا منتظمًا بديعًا منذ خلقها الله -عز وجل- وإلى أن يأذن الله تعالى بخراب العالم، فهي تسير لمستقر لها، كما قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: 38] وهي من آيات الله تعالى بحجمها وآثارها، أما حجمها فعظيم كبير، وأما آثارها فما يحصل منها من المنافع للأجسام والأشجار والأنهار والبحار، وغير ذلك.

فإذا نظرنا إلى الشمس هذه الآية العظيمة ما مدى البعد الذي بيننا وبينها؟! مع ذلك فإننا نجد حرارتها هذه الحرارة العظيمة، ثم انظر ماذا يحدث فيها من الإضاءة العظيمة التي يحصل بها توفير أموال كثيرة على الناس، فإن الناس في النهار يستغنون عن كل إضاءة ويحصل بها مصلحة كبيرة للناس من توفير أموالهم، ويعد هذا من الآيات التي لا ندرك إلا اليسير منها.

والدليل (1) قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِتَاءَهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: 37]. وقوله (2) تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَيْلُ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

كذلك القمر من آيات الله - عز وجل - حيث قدره منازل لكل ليلة منزلة ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: 39] فهو يبدو صغيراً ثم يكبر رويداً حتى يكمل ثم يعود إلى النقص، وهو يشبه الإنسان حيث أنه يخلق من ضعف ثم لا يزال يترقى من قوة إلى قوة حتى يعود إلى الضعف مرة أخرى، فتبارك الله أحسن الخالقين!

(1) أي والدليل على أن الليل والنهار، والشمس والقمر من آيات الله - عز وجل - قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ﴾ إلخ. أي من العلامات البينة المبينة لمدلولها الليل والنهار في ذاتها واختلافهما، وما أودع الله فيهما من مصالح العباد وتقلبات أحوالهم، وكذلك الشمس والقمر في ذاتهما وسيرهما وانتظامهما وما يحصل بذلك من مصالح العباد ودفع مضارهم. ثم نهى الله تعالى العباد أن يسجدوا للشمس أو القمر وإن بلغا مبلغاً عظيماً في نفوسهم لأنها لا يستحقان العبادة لكونها مخلوقين، وإنما المستحق للعبادة هو الله تعالى الذي خلقهن.

(2) وقوله؛ أي من الأدلة على أن الله خلق السماوات والأرض قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية، وفيها من آيات الله: **أولاً:** إن الله خلق هذه المخلوقات العظيمة في ستة أيام ولو شاء لخلقها بلحظة، ولكنه ربط المسببات بأسبابها كما تقتضيه حكمته. **ثانياً:** أنه استوى على العرش أي علا عليه علواً خاصاً به، كما يليق بجلاله وعظمته، وهذا عنوان كمال الملك والسلطان. **ثالثاً:** أنه يغشى الليل النهار أن يجعل الليل غشاء للنهار، أي غطاء له، فهو كالثوب يسدل على ضوء النهار فيغطيه. **رابعاً:** أنه جعل الشمس والقمر والنجوم مذلات بأمره - جل سلطانه - يأمرهن بما يشاء لمصلحة العباد. **خامساً:** عموم ملكه وتام سلطانه حيث كان له الخلق والأمر لا لغيره. **سادساً:** عموم ربوبيته للعالمين كلهم.

والرب هو المعبود (1)، والدليل (2) قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ (3) آخِذُوا بِرَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ (4) وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (5)﴾ (النَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَشًا (6) وَالسَّمَاءَ بِنَاءً (7) وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً (8)

(1) يشير المؤلف رحمته إلى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ بَارِكُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54] فالرب هو المعبود؛ أي هو الذي يستحق أن يُعبد، أو هو الذي يُعبد لاستحقاقه للعبادة، وليس المعنى أن كل من عُبد فهو رب، فالآلهة التي تُعبد من دون الله واتخذها عابدها أربابًا من دون الله ليست أربابًا. (2) أي الدليل على أن الرب هو المستحق للعبادة.

(3) النداء موجه لجميع الناس من بني آدم، أمرهم الله -عز وجل- أن يعبدوه وحده لا شريك له، فلا يجعلوا له أندادًا، ويبين أنه إنما استحق العبادة لكونه هو الخالق وحده لا شريك له.

(4) قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ هذه صفة كاشفة تعلق ما سبق؛ أي اعبدوه لأنه ربكم الذي خلقكم، فمن أجل كونه الرب الخالق كان لزامًا عليكم أن تعبدوه؛ ولهذا نقول: يلزم كل من أقر بربوبية الله أن يعبده وحده وإلا كان متناقضًا.

(5) أي من أجل أن تحصلوا على التقوى، والتقوى هي اتخاذ وقاية من عذاب الله -عز وجل- باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

(6) أي جعلها فراشًا ومهادًا نستمتع فيها من غير مشقة ولا تعب، كما ينام الإنسان على فراشه.

(7) أي فوقنا لأن البناء يصير فوق السماء بناء لأهل الأرض وهي سقف محفوظ،

كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 32].

(8) أي أنزل من العلو من السحاب ماء طهورًا كما قال تعالى: ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ

وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: 10].

فَأَخْرَجَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ (1) فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا (2) وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (3) ﴿البقرة: 21-22﴾.

قال ابن كثير - رحمته الله (4) -: «الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة».

وانواع العبادة التي أمر الله بها (5) مثل: الإسلام، والإيمان،

(1) أي عطاء لكم، وفي آية أخرى: ﴿مَثَلًا لَكُمْ وَلِتَعْلَمُوا﴾ [النازعات: 33].

(2) أي لا تجعلوا لهذا الذي خلقكم، وخلق الذين من قبلكم، وجعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناءً، وأنزل لكم من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم لا تجعلوا له أندادًا تعبدونها كما تعبدون الله، أو تحبونها كما تحبون الله فإن ذلك غير لائق بكم، لا عقلاً ولا شرعاً.

(3) أي تعلمون أنه لا ند له وأنه بيده الخلق والرزق والتدبير، فلا تجعلوا له شريكاً في العبادة.

(4) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الحافظ المشهور، صاحب التفسير والتاريخ، من تلاميذ شيخ الإسلام بن تيمية، توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة.

(5) لما بين المؤلف رحمته الله أن الواجب علينا أن نعبد الله وحده لا شريك له، بين فيما يأتي شيئاً من أنواع العبادة مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان.

وهذه الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان هي الدين، كما جاء ذلك فيما رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقّه.

والإحسان؛ ومنه: الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى (1).

والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18] فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (2) [المؤمنون: 117].

قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: مال المسئول عنها بأعلم من السائل. قال فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة رببتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبث ملياً، ثم قال لي: يا عمر، أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

فجعل النبي ﷺ هذه الأشياء هي الدين، وذلك أنها متضمنة للدين كله.

(1) أي كل أنواع العبادة مما ذكر وغيره لله وحده لا شريك له، فلا يحل صرفها لغير الله تعالى.

(2) ذكر المؤلف رحمه الله جملة من أنواع العبادة، وذكر أن من صرف منها شيئاً

لغير الله فهو مشرك كافر، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) وبقوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ووجه الدلالة من الآية الأولى أن الله تعالى أخبر أن المساجد، وهي مواضع السجود أو أعضاء السجود لله ورتب على ذلك قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أي لا تعبدوا معه غيره فتسجدوا له، ووجه الدلالة من الآية الثانية بأن الله - سبحانه وتعالى - بين أن من يدعو مع الله إلهاً آخر فإنه كافر لأنه قال: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ وفي قوله: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ إشارة إلى أنه لا يمكن أن يكون برهاناً على تعدد الآلهة، فهذه الصفة ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة مبينة للأمر، وليست صفة مقيدة تخرج ما فيه «برهان» لأنه لا يمكن أن يكون برهاناً على أن مع الله إلهاً آخر.



وفي الحديث: الدعاء مخ العبادة.. والدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (7) [غافر: 60].

(7) هذا شروع من المؤلف رحمه الله في أدلة أنواع العبادة التي ذكرها في قوله: « وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ومنه الدعاء.. » إلخ، فبدأ رحمه الله بذكر الأدلة على الدعاء، وسيأتي إن شاء الله تفصيل أدلة الإسلام والإيمان والإحسان.

واستدل المؤلف رحمه الله بما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « الدعاء مخ العبادة » واستدل كذلك بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ فدللت الآية الكريمة على أن الدعاء من العبادة ولولا ذلك ما صح أن يقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ فمن دعا غير الله - عز وجل - بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حياً أو ميتاً. ومن دعا حياً بما يقدر عليه، مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، يا فلان اسقني، فلا شيء فيه، ومن دعا ميتاً أو غائباً بمثل هذا فإنه مشرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفاً في الكون فيكون بذلك مشركاً.

واعلم أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

**دعاء المسألة:** هو دعاء الطلب أي طلب الحاجات، وهو عبادة إذا كان من العبد لربه، لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة. ويجوز إذا صدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة كما سبق في قول القائل: يا فلان أطعمني.

**وأما دعاء العبادة:** فأن يتعبد به للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة، وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60].

ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) [آل عمران: 175]. ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (2) [الكهف: 110].

(1) الخوف: هو الذعر، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى، وقد نهى الله - سبحانه وتعالى - عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده.

### والخوف ثلاثة أنواع:

**النوع الأول:** خوف طبيعي كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق وهذا لا يلام عليه العبد؛ قال الله تعالى عن موسى - عليه الصلاة والسلام -: ﴿فَأَصْحَبُ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: 18] لكن إذا كان هذا الخوف كما ذكر الشيخ رحمته الله سبباً لترك واجب أو فعل محرم كان حراماً؛ لأن ما كان سبباً لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليله قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].

والخوف من الله تعالى يكون محموداً، ويكون غير محمود.

**فالمحمود:** ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يملكك على فعل الواجبات وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه.

**وغير المحمود:** ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط، وحينئذ يتحسر العبد وينكمش، وربما يتهادى في المعصية لقوة يأسه.

**النوع الثاني:** خوف العبادة أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له، فهذا لا يكون إلا لله تعالى. وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

**النوع الثالث:** خوف السر كأن يخاف صاحب القبر، أو ولياً بعيداً عنه لا يؤثر فيه، لكنه يخافه مخافة سر، فهذا أيضاً ذكره العلماء من الشرك.

(2) الرجاء: طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال تنزيلاً له منزلة القريب. والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله - عز وجل - وصرفه لغير الله تعالى شرك إما أصغر، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي. وقد استدل المؤلف بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمنٍ مذموم.

ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 3]، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (1) [الطلاق: 3].

(1) التوكل على الشيء: الاعتماد عليه. والتوكل على الله تعالى: الإعتماد على الله تعالى كفاية وحسباً في جلب المنافع ودفع المضار، وهو من تمام الإيمان وعلاماته لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وإذا صدق العبد في اعتماده على الله تعالى كفاه الله تعالى ما أهمه لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيته، ثم طمأن المتوكل بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق: 3] فلا يعجزه شيء أراد.

### واعلم أن التوكل أنواع:

**الأول:** التوكل على الله تعالى وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه، وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به، وسبق دليله.

**الثاني:** توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة أو دفع مضرة، فهذا شرك أكبر؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرّياً في الكون، ولا فرق بين أن يكون نبياً، أو ولياً، أو طاغوتاً عدواً لله تعالى.

**الثالث:** التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير، مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه، مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه، فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والإعتماد عليه. أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله.

**الرابع:** التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة، فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب، والسنة، والإجماع، فقد قال يعقوب لبنيه: ﴿يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: 87] ووكل النبي ﷺ على الصدقة عمالاً وحفاظاً، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها، ووكل علي بن ابي طالب ﷺ في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها، وأن ينحر ما بقي من المائة بعد أن نحر ﷺ بيده ثلاثاً وستين.

**وأما الإجماع:** على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة.

ودليل الرغبة (1) والرغبة (2) والخشوع (3) قوله تعالى: ﴿لَهُمْ كَأَنُؤُا يُكْرِمُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَأَنُؤُا لَنَا خَشِيعَاتٌ﴾ (4) [الأنبياء: 90].  
 ودليل الخشية قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ (5) [البقرة: 175].

(1) الرغبة: محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.  
 (2) والرغبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف فهي خوف مقرون بعمل.  
 (3) الخشوع: الذل والتطامن لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي.  
 (4) في هذه الآية الكريمة، وصف الله تعالى الخُلَّص من عباده بأنهم يدعون الله تعالى رغبًا ورهبًا مع الخشوع له، والدعاء هنا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، فهم يدعون الله رغبة فيما عنده وطمعًا في ثوابه مع خوفهم من عقابه وآثار ذنوبهم، والمؤمن ينبغي أن يسعى إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، ويغلب الرجاء في جانب الطاعة لينشط عليها ويؤمل قبولها، ويغلب الخوف إذا هم بالمعصية ليهرب منها وينجو من عقابها.

وقال بعض العلماء: يغلب جانب الرجاء في حال المرض وجانب الخوف في حال الصحة؛ لأن المريض منكسر ضعيف النفس، وعسى أن يكون قد اقترب أجله، فيموت وهو يحسن الظن بالله - عز وجل - وفي حال الصحة يكون نشيطًا مؤملًا طول البقاء فيحمله ذلك على الأشر والبطر، فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك.

وقيل: يكون رجاءه وخوفه واحدًا سواء؛ لئلا يحمله الرجاء على الأمن من مكر الله، والخوف على اليأس من رحمة الله، وكلاهما قبيح مهلك لصاحبه.

(5) الخشية هي: الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] أي العلماء بعظمتهم وكمال سلطانه، فهي أخص من الخوف، ويتضح الفرق بينهما بالمثال، فإذا خفت من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم لا؟ فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية. ويقال في أقسام أحكام الخشية ما يقال في أقسام أحكام الخوف.

ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ (1) [الزمر: 54].  
 ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] وفي الحديث إذا  
 استعنت فاستعن بالله. (2).

(1) الإنابة: الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته، وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه، ولا تكون إلا لله تعالى، ودليلها قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾.  
 والمراد بقوله تعالى: ﴿وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ الإسلام الشرعي، وهو الاستسلام لأحكام الله الشرعية، وذلك أن الإسلام لله تعالى نوعان:

**الأول: إسلام كوني:** وهو الاستسلام لحكمه الكوني، وهذا عام لكل من في السموات والأرض من مؤمن وكافر، وير وفاجر لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَهُ اسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِيَّاهُ يُجْعَلُونَ﴾ [آل عمران: 83].

**الثاني: إسلام شرعي:** وهو الاستسلام لحكمه الشرعي وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وأتباعهم بإحسان، ودليله في القرآن كثير، ومنه هذه الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

(2) الاستعانة طلب العون وهي أنواع:  
**الأول:** الاستعانة بالله وهي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته، وهذه لا تكون إلا لله تعالى، ودليلها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ووجه الاختصاص أن الله تعالى قدم المعمول ﴿إِيَّاكَ﴾ وقاعدة اللغة التي نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص، وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركاً مخرجاً عن الملة.

**الثاني:** الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه، فهذه على حسب المستعان عليه فإن كانت على بر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 2]. وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2].

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: 1]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

الناس﴾ (1) [الناس: 1].

وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين، لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير؛ وَمَنْ تَمَّ تَكُونُ فِي حَقِّهِ مَشْرُوعَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]

**الثالث:** الاستعاذة بمخلوق حي حاضر غير قادر، فهذه لغو، لا طائل تحتها مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

**الرابع:** الاستعاذة بالأموات مطلقاً أو بالأحياء على أمر الغائب لا يقدر على مباشرته، فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون.

**الخامس:** الاستعاذة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى، وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: 153].

وقد استدل المؤلف **رحمته** للنوع الأول بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 4] وقوله **ﷻ**: «إذا استعنت فاستعن بالله».

(1) الاستعاذة: طلب الإعادة، والإعادة: الحماية من مكروهه، فالمستعذ مُحْتَمٍ بمن استعاذ به، ومعتصم به، والاستعاذة أنواع:

**الأول:** الاستعاذة بالله تعالى، وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته، وتام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غير بشر، ودليلها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (1) من شر ما خلق ﴿إلى آخر السورة. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿إلى آخر السورة.

**الثاني:** الاستعاذة بصفة: ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك، ودليل ذلك قوله **ﷻ**: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» وقوله: «أعوذ بعظمتك أن أغتال

من تحتي» وقوله: في دعاء الألم «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»، وقوله: «أعوذ برضاك من سخطك»، وقوله **ﷻ** حين نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى

أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَنْ لَكُمْ فَتْنًا مِمَّا كَفَرْتُمْ فَقَالَ: «أعوذ بوجهك».

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (1) [الأنفال: 9].

**الثالث:** الاستعاذة بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ، فهذا شرك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُعُودُونَ رِجَالًا مِّنَ الَّذِينَ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 6].

**الرابع:** الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها، فهذا جائز، ودليله قوله ﷺ في ذكر الفتن: «من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به» متفق عليه. وقد بين ﷺ هذا الملجأ والمعاذ بقوله: «فمن كان له إبل فليلحق بإبله» الحديث رواه مسلم. وفي صحيحه أيضاً عن جابر رضي الله عنه: «أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأتى بها النبي ﷺ فعادت بأم سلمة» الحديث. وفي صحيحه أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث» الحديث.

ولكن إن استعاذ من شر ظالم وجب إيواؤه وإعادته بقدر الإمكان، وإن استعاذ ليتوصل إلى فعل محظور أو الهرب من واجب؛ حرم إيواؤه.

(1) الاستغاثة طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، وهو أقسام:

**الأول:** الاستغاثة بالله - عز وجل - وهذا من أفضل الأعمال وأكملها، وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله ما ذكره الشيخ رحمته الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: 9] وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي ﷺ إلى المشركين في ألف رجل، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فدخل العريش يناشد ربه - عز وجل - رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك وعدك. فأنزل الله هذه الآية.

**الثاني:** الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن هؤلاء تصرفاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا مِّنَ الْأَرْضِ إِنَّكُمْ لَعِندَهُ حُلُوفٌ مُّقْتَدِرَةٌ﴾ [النمل: 62].

ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ (1) [الأنعام: 162، 163] ومن السنة: «لعن الله من ذبح لغير الله».  
ودليل النذر (2)

**الثالث:** الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة، فهذا جائز كالاستعانة بهم، قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿فَأَسْتَعِثُّهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: 15]

**الرابع:** الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول، فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به، فيمنع منه لهذه العلة، ولعلة أخرى وهي الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة.

(1) الذبح إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص ويقع على وجوه:  
**الأول:** أن يقع عبادة، بأن يقصد به تعظيم المذبح له والتدلل له والتقرب إليه، فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162، 163].

**الثاني:** أن يقع إكرامًا لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك، فهذا مأمور به إما وجوبًا أو استحبابًا لقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «أولم ولو بشاة».

**الثالث:** أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به، ونحو ذلك، فهذا من قسم المباح، فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكَةٌ ۚ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: 71، 72] وقد يكون مطلوبًا أو منهيًا عنه حسبما يكون وسيلة له.

(2) أي دليل كون النذر من العبادة قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لِلَّذِينَ لَا نَجْوَىٰ مِنْهُ إِلَّا مَا رَجَعْنَا عَلَيْهِمُ بِهِمْ فِي كَيْفَ لَمْ يَكُن لَكُمْ وَالِيًّا فِي مَا كُنْتُمْ عَابِدِينَ﴾ [الإنسان: 7]



قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ [الإنسان: 7] (1).  
الأصل الثاني (1) : معرفة دين الإسلام بالأدلة وهو: الاستسلام (2) لله بالتوحيد (3) .

(1) وجه الدلالة من الآية أن الله أثنى عليهم لإيفائهم النذر، وهذا يدل على أن الله يحب ذلك، وكل محبوب لله من الأعمال فهو عبادة. ويؤيد ذلك قوله: ﴿يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

واعلم أن النذر الذي امتدح الله تعالى هؤلاء القائمين به هو جميع العبادات التي فرضها الله - عز وجل - فإن العبادات الواجبة إذا شرع فيها الإنسان فقد التزم بها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 29].

والنذر هو إلزام الإنسان نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غير واجبة مكروهه، وقال بعض العلماء: إنه محرم لأن النبي ﷺ نهى عن النذر وقال: «إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل» ومع ذلك فإذا نذر الإنسان طاعة لله وجب عليه فعلها لقول النبي ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه».

**والخلاصة:** أن النذر يطلق على العبادات المفروضة عمومًا، ويطلق على النذر الخاص، وهو إلزام الإنسان نفسه بشيء لله - عز وجل - وقد قسم العلماء النذر الخاص إلى أقسام، ومحل بسطها كتب الفقه.

(1) أي من الأصول الثلاثة: «معرفة دين الإسلام بالأدلة» يعني أن يعرف دين الإسلام بأدلتها من الكتاب والسنة.

(2) دين الإسلام، وإن شئت فقل: الإسلام هو «الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله» فهو متضمن لأمر ثلاثة.

(3) أي بأن يستسلم العبد لربه استسلاماً شرعياً، وذلك بتوحيد الله - عز وجل - وإفراده بالعبادة، وهذا الإسلام هو الذي يحمده عليه العبد ويثاب عليه، أما الاستسلام القدرى فلا ثواب فيه لأنه لا حيلة للإنسان فيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ اسْتَسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: 83].

والانقياد له بالطاعة (1)، والبراءة من الشرك وأهله (2)، وهو ثلاث مراتب (3)؛ الإسلام، والإيمان والإحسان، وكل مرتبة لها أركان (4) فأركان الإسلام خمسة (5) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله (6)، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام. فدليل الشهادة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (7) [آل عمران: 18]

(1) وذلك بفعل أو امره واجتناب نواهيهِ؛ لأن الطاعة طاعة في الأمر بفعله وطاعة في النهي بتركه.

(2) البراءة من الشرك أي أن يتبرأ منه، ويتخلى منه، وهذا يستلزم البراءة من أهله، قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: 4]

(3) بين المؤلف رحمته أن الدين الإسلامي ثلاث مراتب، بعضها فوق بعض وهي الإسلام، والإيمان، والإحسان.

(4) دليل ذلك قوله رحمته في الحديث الذي رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حين جاء جبريل يسأل النبي رحمته عن الإسلام والإحسان وبين له رحمته ذلك وقال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

(5) دليل ذلك حديث ابن عمر رحمتهما قال: قال النبي رحمته: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام».

(6) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ركن واحد، وإنما كانتا ركناً واحداً مع أنها من شقين لأن العبادات تبنى على تحقيقها معاً، فلا تقبل العبادة إلا بالإخلاص لله -عز وجل- وهو ما تتضمنه شهادة أن لا إله إلا الله، واتباع الرسول رحمته وهو ما تتضمنه شهادة أن محمداً رسول الله.

(7) في الآية الكريمة شهادة الله لنفسه بأنه لا إله إلا هو، وشهادة الملائكة وشهادة أهل العلم بذلك، وأنه تعالى قائم بالقسط أي العدل، ثم قرر ذلك بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وفي هذه الآية منقبة عظيمة لأهل العلم حيث أخبر أنهم شهداء معه ومع الملائكة، والمراد بهم أولو العلم بشريعته، ويدخل فيهم دخولاً أولياً رسله الكرام.

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، «لا إله» نافياً لجميع ما يعبد من دون الله «إلا الله» مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه (1).

وهذه الشهادة أعظم شهادة؛ لعظم الشاهد والمشهود به، فالشاهد: هو الله وملائكته، وأولو العلم. والمشهود به: توحيد الله في ألوهيته وتقرير ذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْقَيُّومُ الْمُبْتَلَى﴾.

(1) أي معنى لا إله إلا الله: أن لا معبود بحق إلا الله فشهادة أن لا إله إلا الله أن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود حق إلا الله - عز وجل - لأنه «إله» بمعنى مألوه، والتأله: التعبد. وجملة «لا إله إلا الله» مشتملة على نفي وإثبات: أما النفي: فهو «لا إله». وأما الإثبات: «إلا الله». و«الله» لفظ الجلالة، بدل من خبر «لا» المحذوف، والتقدير «لا إله حق إلا الله» وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمة «حق» يتبين الجواب عن الإشكال التالي، وهو كيف يقال «لا إله إلا الله» مع أن هناك آلهة تعبد من دون الله، وقد سماها الله تعالى آلهة، وسماها عابدها آلهة؟!!

قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود: 110] وكيف يمكن أن نثبت الألوهية لغير الله - عز وجل - والرسول يقولون لأقوامهم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؟ [الأعراف: 59].

والجواب على هذا الإشكال يتبين بتقدير الخبر في: «لا إله إلا الله». فنقول: هذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي آلهة لكنها باطلة ليست آلهة حقة وليس لها من حق الألوهية شيء، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَكْفُرُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: 62] ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١١﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿١٢﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿١٣﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿١٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: 19-23] وقوله تعالى عن يوسف - عليه الصلاة والسلام -: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: 40] إذن فمعنى «لا إله إلا الله» لا معبود حق إلا الله - عز وجل -، فأما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدها ليست حقيقية أي ألوهية باطلة.

وتفسيرها الذي يوضحها، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ (1) لَأبيه وقومه إنني براء (2) مما تعبدون \* إلا الذي فطرني (3) فإنه سيهديني (4) وجعلها (5) كلمة باقية في عقبه (6) لعلهم يرجعون (7)﴾، وقوله: ﴿قُلْ (8) يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة (9) سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله (10) فإن تولوا (11) فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (12) [آل عمران: 64].

(1) إبراهيم: هو خليل الله إمام الخنفاء، وأفضل الرسل بعد محمد ﷺ وأبوه أزر.

(2) «براء»: صفة مشبهة بالبراءة وهي أبلغ من بريء. وقوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ يوافق قول «لا إله».

(3) خلقني ابتداء على الفطرة، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يوافق قوله: «إلا الله» فهو سبحانه وتعالى لا شريك له في ملكه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْآخِرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54] ففي هذه الآية حصر الخلق والأمر لله رب العالمين وحده، فله الخلق وله الأمر الكوني الشرعي.

(4) ﴿سَيَّبِدِينَ﴾ سيدلني على الحق ويوفقني له.

(5) ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي هذه الكلمة وهي البراءة من كل معبود سوى الله.

(6) ﴿فِي عَقْبِهِ﴾ في ذريته.

(7) ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي إليها من الشرك.

(8) الخطاب للنبي ﷺ لمناظرة أهل الكتاب اليهود والنصارى.

(9) ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ هذه الكلمة هي ألا نعبد إلا الله هي

معنى «لا إله إلا الله»، ومعنى «سواء بيننا وبينكم» أننا نحن وإياكم سواء فيها.

(10) أي لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله - عز وجل - بحيث يعظم

كما يعظم الله - عز وجل -، ويعبد كما يعبد الله، ويجعل الحكم لغيره.

(11) ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عما دعوتوهم إليه.

(12) أي فأعلنوا لهم وأشهدوهم أنكم مسلمون لله، بريئون مما هم عليه من

العناد والتولي عن هذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا الله».

ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم (1) عزيز عليه ما عنتم (2) حريص عليكم (3) بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ (4) [التوبة: 128]. ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع (5).

(1) قوله: ﴿مَنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي من جنسكم، بل هو من بينكم أيضًا كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2].

(2) أي يشق عليه ما شق عليكم.

(3) أي على منفعتكم ودفع الضر عنكم.

(4) أي ذو رأفة ورحمة بالمؤمنين، وخص المؤمنين بذلك لأنه ﷺ مأمور بجهد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، وهذه الأوصاف لرسول الله ﷺ تدل على أنه رسول الله حقًا كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: 29] وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّبِعْهَا النَّاسُ إِيَّيْ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158] والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا تدل على أن محمدًا رسول الله حقًا.

(5) معنى شهادة «أن محمدًا رسول الله» هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله - عز وجل - إلى جميع الخلق من الجن والإنس، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذاريات: 56] ولا عبادة لله تعالى إلا عن طريق الوحي الذي جاء به محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].

ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر، وأن تمثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضى هذه الشهادة أيضًا أن لا تعتقد أن لرسول الله ﷺ حقًا في الربوبية وتصريف الكون، أو حقًا في العبادة، بل هو ﷺ عبد لا يعبد ورسول لا يكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا من النفع أو الضر إلا ما شاء الله كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِيَّيْ مَلِكٌ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: 50].

ودليل الصلاة، والزكاة (1)، وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة(2) وذلك(3) دين القيمة﴾ (4) [البينة: 5]

فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿١١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١٢﴾ [الجن: 21، 22] وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ [الأعراف: 188].

وبهذا تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله ﷺ ولا من دونه من المخلوقين، وأن العبادة ليست إلا لله تعالى وحده ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين \* لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام: 162-163]. وأن حقه ﷺ أن تنزله المنزلة التي أنزله الله تعالى إياها، وهو أنه عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

(1) أي أن الصلاة والزكاة من الدين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البينة: 5]. وهذه الآية عامة شاملة لجميع أنواع العبادة فلا بد أن يكون الإنسان فيها مخلصاً لله - عز وجل - حنيفاً متبعاً لشريعته.

(2) هذا من باب عطف الخاص على العام، لأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من العبادة، ولكنه سبحانه وتعالى نص عليها لما لها من الأهمية، فالصلاة عبادة البدن، والزكاة عبادة المال وهما قرينتان في كتاب الله عز وجل.

(3) أي عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

(4) أي دين الملة القيمة التي لا اعوجاج فيها لأنها دين الله - عز وجل - ودين الله مستقيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153].

وهذه الآية الكريمة كما تضمنت ذكر العبادة والصلاة فقد تضمنت حقيقة التوحيد وأنه الإخلاص لله - عز وجل - من غير ميل إلى الشرك، فمن لم يخلص لله لم يكن موحدًا، ومن جعل عبادته لغير الله لم يكن موحدًا.

ودليل الصيام (1) قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (2) [البقرة: 183]، ودليل الحج (3) قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (4) [آل عمران: 97].

(1) أي دليل وجوبه قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وفي قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فوائد:

**أولاً:** أهمية الصيام حيث فرضه الله - عز وجل - على الأمم من قبلنا، وهذا يدل على محبة الله - عز وجل - له وأنه لازم لكل أمة.

**ثانياً:** التخفيف على هذه الأمة حيث إنها لم تكلف وحدها بالصيام الذي قد يكون فيه مشقة على النفوس والابدان.

**ثالثاً:** الإشارة إلى أن الله تعالى أكمل هذه الأمة دينها حيث أكمل لها الفضائل التي سبقت لغيرها.

(2) بين الله - عز وجل - في هذه الآية حكمة الصيام بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي تتقون الله بصيامكم، وما يترتب عليه من خصال التقوى، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الفائدة بقوله: «من لم يدع قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

(3) أي دليل وجوبه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ إلخ. وهذه الآية نزلت في السنة التاسعة من الهجرة وبها كانت فريضة الحج، ولكن الله عز وجل قال: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ففيه دليل على أن من لم يستطع فلا حج عليه.

(4) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ دليل على أن ترك الحج ممن استطاع إليه سبيلاً يكون كفراً، ولكنه كفر لا يخرج من الملة على قول جمهور العلماء لقول عبد الله بن شقيق: «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة».

المرتبة الثانية (1) الإيمان (2) وهو بضع (3) وسبعون شعبة (4) فأعلاها قول لا إله إلا الله وأنها إمطة الأذى (5) عن الطريق، والحياء (6) شعبة من الأيمان، وأركانها ست: أن تؤمن بالله (7)،

(1) أي مراتب الدين. (2) الإيمان في اللغة: التصديق.  
وفي الشرع: «اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، وهو بضع وسبعون شعبة».  
(3) البضع، بكسر الباء: من الثلاثة إلى التسعة.  
(4) الشعبة: الجزء من الشيء.  
(5) أي إزالة الأذى، وهو ما يؤذي المارة من أحجار وأشواك، ونفايات وقمامة وما له رائحة كريهة ونحو ذلك.  
(6) الحياء: صفة انفعالية عند الخجل وتحجز المرء عن فعل ما يخالف المروءة.

والجمع بين ما تضمنه كلام المؤلف رحمه الله من أن الإيمان بضع وسبعون شعبة وأن الإيمان أركانه ستة أن نقول: الإيمان الذي هو العقيدة، أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل -عليه الصلاة والسلام- حينما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون شعبة، ولهذا سمي الله تعالى الصلاة إيماناً في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة: 143] قال المفسرون: يعني صلاتكم إلى بيت المقدس لأن الصحابة كانوا قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة يصلون إلى بيت المقدس.

(7) الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:  
الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دل على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع والحس.  
1 - أما دلالة الفطرة على وجوده: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي صلى الله عليه وسلم: « ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه».



2- وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أو جدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟

ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لا بد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتألف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقاءه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين. وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلِيقُونَ﴾ [الطور: 35] يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم -رضي الله عنه- رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلِيقُونَ﴾ [الطور: 35-37] وكان - جبير يؤمنذ مشركاً قال: «كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما قرأ الإيمان في قلبي» رواه البخاري مفرقاً.

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك، فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهاً من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسماؤه، وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد؟!

3- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

4- وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين: أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾ [الأنبياء: 76] وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: 9] وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب، فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا؛ فثار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره، فقال: يارسول الله تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا»، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت».

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم.

مثال ذلك: آية موسى صلى الله عليه وسلم حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً يابساً، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: 63].

ومثال ثانٍ: آية عيسى صلى الله عليه وسلم حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنحَىٰ الْمَوْتَىٰ لِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: 49] وقال: ﴿ وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

ومثال ثالث لمحمد ﷺ حين طلبت منه قریش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقَّتِ الْقَمَرُ ۗ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمَرٌّ ۗ ﴾ [القمر: 1-2]. فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

### الثاني: الإيمان بربوبيته:

أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين. والرب: من له الخلق والملك، والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ ﴾ [الأعراف: 54] وقال: ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۗ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۗ ﴾ [فاطر: 13].

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غير معتقد بما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ۗ ﴾ [النازعات: 24] وقال: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ۗ ﴾ [التقصص: 38] لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأُتِيَقَتْنَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۗ ﴾ [النمل: 74] وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۗ ﴾ [الإسراء: 102].

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى، مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۗ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۗ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۗ ﴾ [٨٥] قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۗ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۗ قُلْ أَفَلَا نُنْقِزُكَ ۗ قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۗ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۗ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ۗ ﴾ [المؤمنون: 84-89].

وقال الله تعالى: ﴿ وَكَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۗ ﴾ [الزخرف: 9] وقال: ﴿ وَكَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ۗ ﴾ [الزخرف: 87].

وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي فكما أنه مدبر الكون، القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعاً في العبادات أو حاكماً في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

الثالث: الإيمان بألوهيته:

أي ( بأنه وحده الإله الحق لا شريك له) و «الإله» بمعنى المألوه أي: المعبود حباً وتعظيماً، وقال الله تعالى: ﴿وَالنَّهْكَرُ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163] وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]. وكل ما اتخذ إلهًا مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: 62] وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية، قال الله تعالى في: اللات، والعزى، ومناة: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [النجم: 23] وقال عن هود أنه قال لقومه: ﴿أَتُجَدِّدُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [الأعراف: 71] وقال عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن: ﴿ءَأَزْيَابٌ مُتَفَرِّقَاتٌ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39، 40] ولهذا كانت الرسل -عليهم الصلاة والسلام- يقولون لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم، ويستغيثون. وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة برهانين عقليين:

**الأول:** أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق، ولا تجلب نفعاً لعبديها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملك لهم حياة ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السماوات ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: 3]. وقال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَقْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [الأنعام: 22-23].

وقال: ﴿أَبَشْرُكُمْ مَا لَا يُخَلِّقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأنعام: 22-23]. وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.

**الثاني:** أن هؤلاء المشركين كانوا يقولون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحده بالألوهية كما قال تعالى: ﴿يَأْيُهَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: 21-22﴾ وقال: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿الزخرف: 87﴾ وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا لَنُقُونَ ﴿٢١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿يونس: 31-32﴾.

### الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته:

أي: ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ أَحْسَنُ فَأَدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿الأعراف: 180﴾ وقال: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿الروم: 27﴾ وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿الشورى: 11﴾. وقد ضل في هذا الأمر طائفتان:

**إحدهما:** (المعطلّة) الذين أنكروا الأسماء والصفات، أو بعضها، زاعمين أن إثباتها يستلزم التشبيه؛ أي تشبيه الله تعالى بخلقه، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

**الأول:** أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفى أن يكون كمثل شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله، وتكذيب بعضه بعضاً.

**الثاني:** أنه لا يلزم من اتفاق الشئيين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين، فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلاهما إنسان: سميع، بصير، متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية، والسمع والبصر، والكلام، وترى الحيوانات لها أيدي وأرجل، وأعين ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها، وأعينها متماثلة. فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء، أو صفات، فالتباين بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

**الطائفة الثانية:** (المشبهة) الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص، لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

**الأول:** أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يبطله العقل، والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلاً.

**الثاني:** أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكُنْه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى (وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة، لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق، أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليه غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه، لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رحل بعير صعب نفور، فإذا تباينت في حق المخلوق، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها:

**الأولى:** تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء، ولا خوفاً، ولا يعبد غيره.

**الثانية:** كمال حبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسماؤه الحسنی وصفاته العليا.

**الثالثة:** تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

وملائكته (1).

(1) الملائكة: عالم غيبي، مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه. قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: 19-20].

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم رُفِعَ له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

### والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

**الأول:** الإيمان بوجودهم.

**الثاني:** الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل)، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

**الثالث:** الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق. وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل (لجبريل) حين أرسله تعالى إلى -مريم- فتمثل لها بشراً سوياً، وحين جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذه، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، والإيمان والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». رواه مسلم.

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط كانوا في صورة رجال.

**الرابع:** الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة، مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى

يرسله به إلى الأنبياء والرسل. وهي ما له ليعفونه بعد تيقن

ومثل: ميكائيل الموكل بالقطر؛ أي بالمطر والنبات.  
 ومثل: إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.  
 ومثل: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت.  
 ومثل: مالك الموكل بالنار، وهو خازن النار.  
 ومثل: الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه ملكاً وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد.  
 ومثل: الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها؛ لكل شخص ملكان:  
**أحدهما:** عن اليمين، **والثاني:** عن الشمال.

ومثل: الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه.

والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

**الأولى:** العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

**الثانية:** شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

**الثالثة:** محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساماً، وقالوا إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ

[فاطر: 1]

وقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ [الأنفال: 50].

وقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمْ

[الأنعام: 93]



وكتبه (1).

وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: 23].  
 وقال في أهل الجنة: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٣٢) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَدَقْتُمْ فَنِعَمَ عَفَى الدَّارِ ﴿  
 [الرعد: 23-24].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض». وفيه أيضاً عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة على كل باب من أبواب المساجد الملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر». وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

(1) الكتب: جمع كتاب بمعنى: مكتوب.

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

**الأول:** الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

**الثاني:** الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه، كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ والتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ والإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ، والزبور الذي أوتيته داود ﷺ وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

**الثالث:** تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبطل أو يحرف من الكتب السابقة.

**الرابع:** العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48] أي حاكماً عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن.

والإيمان بالكتب يشمر ثمرات جليلة منها:

**الأولى:** العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرع لكل قوم ما يناسب

أحوالهم. كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48].

(1) الرسل: جمع (رسول) بمعنى (مرسل) أي مبعوث بإبلاغ شيء.

والمراد هنا: من أوحى إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه. [المائدة: 163].

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم، ويقول: «أتتوا نوحاً رسول بعثه الله» وذكر تمام الحديث.

وقال الله تعالى في محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ

النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40].

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه، أو نبي يوحى إليه

بشريعة من قبله ليحدثها، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ

وَأَجْتَنِبُوا الظُّلُمَاتِ﴾ [النحل: 36] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24] وقال

تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: 44].

والرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله

تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين وأعظمهم جاهاً عند الله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ

لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ

وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (١١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ

مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: 21-22].

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض، والموت، والحاجة إلى الطعام والشراب،

وغير ذلك، قال الله تعالى عن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- في وصفه لربه تعالى:

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَسِقِّينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: 79-81]

وقال النبي ﷺ: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني». وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الشناء عليهم فقال تعالى في نوح ﷺ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3] وقال في محمد ﷺ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].

وقال في إبراهيم، وإسحاق ويعقوب - صلى الله عليهم وسلم -: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَ النَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: 45-47]. وقال في عيسى بن مريم ﷺ: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: 59].

### والإيمان بالرسول يتضمن أربعة أمور:

**الأول:** الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: 105] فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا محمداً ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضاً، لا سيما وأنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم يتقدمهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

**الثاني:** الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى ونوح - عليهم الصلاة والسلام - وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب في قوله: ﴿وَلِذَلِكَ أَخْذْنَا مِنَ الَّذِينَ مِثْقَلَهُمْ وَمِنَكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: 7]. وفي سورة الشورى في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13].

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: 78].

**الثالث:** تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

**الرابع:** العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: 65].

### وللايمان بالرسول ثمرات جليلة، منها:

**الأولى:** العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده؛ حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

**الثانية:** شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

**الثالثة:** محبة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وتعظيمهم، والشناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

وقد كذب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر، وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ (١٤) قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِن السَّمَاءِ مَلَكًَا رَسُولًا﴾ [الأنعام: 94-95] فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لا بد أن يكون الرسول بشرًا لأنه مرسل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزل الله عليهم من السماء ملكًا رسولًا، ليكون مثلهم، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسول أنهم قالوا: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (١٥) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: 70-71].

(7) اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يُبعث الناس فيه للحساب والجزاء. وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

### والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

**الأول:** الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير متتعليين، عراة غير مستترين، غرلاً غير مخنتين، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ ثُبُودَهُ، وَعَدَّ عَيْنًا وَإِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 70].

والبعث حق ثابت دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَكُمْ بِعَدِ ذَلِكَ لَئِيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تَبَعُوتٌ﴾ [المؤمنون: 15-16].

وقال النبي ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة غرباً» متفق عليه.

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة؛ حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على السنة رسله، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115] وقال لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [الفصص: 85].

**الثاني:** الإيـان بالحساب والجزاء: يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 25-26] وقال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 160] وقال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الله يدين المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب. حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى أنه قد هلك قال: قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين». متفق عليه.

وصح عن النبي ﷺ: «أن من هم بحسنة فعملها، كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وأن من هم بسيئة فعملها كتبها الله سيئة واحدة». وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم، وذرياتهم، ونساءهم، وأموالهم. فلو لم يكن حساب ولا جزاء؛ لكان هذا من العبث الذي ينزهه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسْتَأَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَأَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بَعثَهُمْ وَمَا كُنَّا عَلَيْهِمْ بِبَالِغِينَ﴾ [الأعراف: 6-7].

**الثالث:** الإيمان بالجنة والنار، وأنها المال الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله. فيها من أنواع النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ حَرُّ الرِّيِّهِ ۗ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنِ حَسِبَ رَبَّهُ﴾ [البينة: 7-8]

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17]

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب والنكال ما لا يخطر على البال، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 131] وقال: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَم مِّن سَاءَ قَلْبُونَ وَمَن سَاءَ فَلْيُكْفِرْ ۖ إِنَّا عَدَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۗ﴾ [يوسف: 15] يوم تَقَلَّبَ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: 64-66].

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل:

**(أ) فتنة القبر:** وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونيبه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ ويضل الله الظالمين فيقول الكافر: هاه، هاه، لا أدري. ويقول المنافق أو المرتاب: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

**(ب) عذاب القبر ونيمة:** فيكون العذاب للظالمين من المنافقين والكافرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ آلِهَتِكُمْ ۖ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا نَسُوا﴾ [الأنعام: 23].

وقال تعالى في آل عمران: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 44].

وفي (صحيح مسلم) من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: «فلولا أن لا تدافعوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار. قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر. قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قالوا: نعوذ بالله من عذاب الدجال. قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 41].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٦﴾ وَأَنْتَ حِينِيذٍ نُنظَرُونَ ﴿٨٧﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٨﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿الواقعة: 83-89﴾.

وعن البراء بن عازب ؓ أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: «ينادي من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره» رواه أحمد وأبو داود في حديث طويل.

وللايمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

**الأولى:** الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

**الثانية:** الرهبة عند فعل المعصية والرضى بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

**الثالثة:** تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرحوه من نعيم الآخرة وثوابها.

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن.

وهذا الزعم باطل دل على بطلانه: الشرع، والحس، والعقل.

**أما الشرع:** فقد قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الأنعام: 7] وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

**وأما الحس:** فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة خمسة أمثلة على ذلك وهي:

**المثال الأول:** قوم موسى حين قالوا له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: 55] فأماهم الله تعالى، ثم أحياهم، وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطبًا بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 55، 56].

**المثال الثاني:** في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَاءَ ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ خُجِرٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 72-73].

**المثال الثالث:** في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت وهم ألوف فأماهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 243].

**المثال الرابع:** في قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى، فأماته الله تعالى مائة سنة ثم أحياه، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى جَمْرِكَ وَلِيَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحْمًا فَمَا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 259].

**المثال الخامس:** في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيى الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم سعيًا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 260].



فهذه أمثلة حسية واقعية تدل على إمكانية إحياء الموتى، وقد سبقت الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى بن مريم من إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى.

### وأما دلالة العقل فمن وجهين:

**أحدهما:** أن الله تعالى فاطر السماوات والأرض وما فيها، خالقهما ابتداء، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27] وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104]. وقال أمرًا بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 79].

**الثاني:** أن الأرض تكون ميتة هامة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتتهز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على إحياء الموتى. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: 39] وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْدَرًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿٢﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: 9-11].

وقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر، ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع، قالوا فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق. وهذا الزعم باطل بالشرع، والحس، والعقل:

**أما الشرع:** فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر، ونعيمه في فقرة (ب) مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر. وفي صحيح البخاري، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما» وذكر الحديث، وفيه: «أن أحدهما كان لا يستتر من البول» وفي رواية: «من بوله» وأن الآخر كان يمشي بالنميمة.

**وأما الحس:** فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موش يتألم منه، وربما يستيقظ أحيانًا مما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه، والنوم أخو الموت، ولهذا سماه الله تعالى «وفاة» قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ إِلَيْ قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَرِيسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: 42].

**وأما العقل:** فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع، وربما رأى النبي ﷺ على صفته، ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى، فإن كان هذا ممكناً في أحوال الدنيا، أفلا يكون ممكناً في أحوال الآخرة؟!

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:

**الأولى:** أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

**وكم من عائب قولاً صحيحاً وأفته من الفهم السقيم**

**الثاني:** أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيثار بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

**الثالث:** أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيقٍ موحشٍ، أو في مكان واسع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه، هو في حجرته، وهو بين أصحابه، فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة، وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه والصحابة لا يرون الملك، ولا يسمعون.

**الرابع:** أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسماوات السبع والأرض ومن فيهن، وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يُسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً. ومع ذلك هو محبوب عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿سُبْحٰنَ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّۗ اِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِۦ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُوْنَ تَسْبِيحَهُمْۗ﴾ [الإسراء: 44] وهكذا الشياطين، والجن، يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً، وقد حضرت الجن إلى رسول الله ﷺ واستمعوا لقراءته وأنصتوا، وولوا إلى قومهم منذرين.

وتؤمن بالقدر خيره وشره (1) والدليل على هذه الأركان الستة.

ومع هذا فهم محجوبون عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ آدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَيْتِهِمْ إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿الأعراف: 27﴾ وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، ولم يدركوه.

(1) القدر بفتح الدال: تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق علمه، واقتضته

حكيمته.

### والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

**الأول:** الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

**الثاني:** الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿الحج:

[170]

وفي (صحيح مسلم) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ».

**الثالث:** الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴿القصص: 86﴾، وقال: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿إبراهيم: 27﴾ وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿آل عمران الآية: 6﴾ وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنَلُوكُمْ ﴿النساء: 90﴾ وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ

فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿الأنعام: 112﴾.

قوله تعالى: ( ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ) [البقرة: 177].

**الرابع:** الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحرركاتها، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: 12] وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2]. وقال عن نبي الله إبراهيم ﷺ أنه قال لقومه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96].

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

**أما الشرع:** فقد قال الله تعالى في المشيئة: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾ [النبأ: 39] وقال: ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223] وقال في القدرة: ﴿فَأَقْضُوا لِلَّهِ مَا أَسْطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: 16] وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286].

**وأما الواقع:** فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى، وقدرته لقول الله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [٢٨] وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [التكوير: 28-29] ولأن الكون كله ملك لله تعالى، فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فَعَلَ مِنَ المعاصي، وعلى هذا فاحتجاجة به باطل من وجوه:

**الأول:** قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 148] ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

ودليل القدر قوله تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر) [القمر: 49].

**الثاني:** قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165] ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

**الثالث:** ما رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما منكم من أحد إلا قد كُتِبَ مقعده من النار أو الجنة. فقال رجل من القوم: ألا نتكل يارسول الله؟ قال: لا اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ الآية. وفي لفظ لمسلم: «فكل ميسر لما خلق له» فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.

**الرابع:** أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] وقال: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286].

ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل، ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

**الخامس:** إن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يُعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله، فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنفى حجته إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

**السادس:** أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه، ثم يحتج على عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحداً؟ وإليك مثلاً يوضح ذلك: لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهي به إلى بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال، فأى الطريقين يسلك؟ إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى، والخوف، ويحتج بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتج بالقدر؟

مثال آخر: نرى المريض يُؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، ويُنهى عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلباً للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقدر، فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله ورسوله، أو يفعل ما نهى الله ورسوله ثم يحتج بالقدر؟

**السابع:** أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمة ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟

ويذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله. فقال: ونحن إنما نقطع بقدر الله.

### وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

**الأولى:** الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

**الثانية:** أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

**الثالثة:** الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات

والأرض، وهو كائن لا محالة، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيكَ مِنْهُ مَأْصَابٌ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ

فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ [الحديد: 22-23] و يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير،

وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه مسلم.

## وقد ضل في القدر طائفتان:

**إحدهما:** الجبرية الذين قالوا: إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

**الثانية:** القدرية الذين قالوا: إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر.

والرد على الطائفة الأولى ( الجبرية ) بالشرع والواقع:

**أما الشرع:** فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه، قال

الله تعالى: ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ [آل عمران:

752] وقال: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ

نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف: 29] الآية. وقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ

أَسَاءَ فَعَلِيَهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: 46].

**وأما الواقع:** فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها

بإرادته كالأكل، والشرب، والبيع والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته

كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من

غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مرید لما وقع عليه.

**أما الشرع:** فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بين الله

تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَكُمُ

الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ أَخْتَلَفُوا فَهُمْ مِنْ ءَامِنٍ وَمِنْهُمْ مَنْ

كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: 253] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ

شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَنَهَى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: 13].

**وأما العقل:** فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو

مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

**المرتبة الثالثة: الإحسان، ركن واحد وهو: « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والدليل قوله تعالى: ( إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ) [النحل: 128]، وقوله: ( وتوكل على العزيز الرحيم \* الذي يراك حين تقوم \* وتقلبك في الساجدين \* إنه هو السميع العليم ) [الشعراء: 217-220] وقوله: ( وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ) (1) [يونس: 61].**

**(1) الإحسان ضد الإساءة، وهو أن يبذل الإنسان المعروف، ويكف الأذى فيبذل المعروف لعباد الله في ماله، وجاهه، وعلمه، وبدنه.**

**فأما المال:** فإن ينفق ويتصدق ويزكي، وأفضل أنواع الإحسان بالمال الزكاة، لأن الزكاة أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، ولا يتم إسلام المرء إلا بها، وهي أحب النفقات إلى الله - عز وجل - ويلي ذلك ما يجب على الإنسان من نفقة لزوجته، وأمه، وأبيه، وذريته، وإخوانه، وبنو إخوته، وأخواته، وأعمامه، وعماته، وخالاته إلى آخر هذا، ثم الصدقة على المساكين وغيرهم، ممن هم أهل للصدقة كطلاب العلم مثلاً.

وأما بذل المعروف في الجاه، فهو أن الناس مراتب: منهم من له جاه عند ذوي السلطان فيبذل الإنسان جاهه، يأتيه رجل فيطلب منه الشفاعة إلى ذي السلطان يشفع له عنده، إما بدفع ضرر عنه، أو بجلب خير له.

**وأما بعلمه:** فإن يبذل علمه لعباد الله، تعليماً في الحلقات والمجالس العامة والخاصة، حتى لو كنت في مجلس قهوة، فإن من الخير والإحسان أن تعلم الناس، ولو كنت في مجلس عام فمن الخير أن تعلم الناس، ولكن استعمل الحكمة في هذا الباب، فلا تثقل على الناس حيث كلما جلست في مجلس جعلت تعظهم وتحدث إليهم، لأن النبي ﷺ كان يتخولهم بالموعظة، ولا يكثر، لأن النفوس تسأم وتمل فإذا ملت كلت وضعفت، وربما تكره الخير لكثرة من يقوم ويتكلم.

**وأما الإحسان إلى الناس بالبدن:** فقد قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع عليها متاعه صدقة». فهذا رجل تعينه تحمل متاعه معه، أو تدله على طريق أو ما أشبه ذلك فكل ذلك من الإحسان، هذا بالنسبة للإحسان إلى عباد الله.



**وأما بالنسبة للإحسان في عبادة الله:** فأن تعبد الله كأنك تراه، كما قال النبي ﷺ وهذه العبادة؛ أي: عبادة الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب وشوق، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حائثاً عليها، لأنه يطلب هذا الذي يحبه، فهو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه سبحانه وتعالى، « فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وهذه عبادة الهرب والخوف، ولهذا كانت هذه المرتبة ثانية في الإحسان، إذا لم تكن تعبد الله - عز وجل - كأنك تراه وتطلبه، وتحث النفس للوصول إليه فاعبده كأنه هو الذي يراك، فتعبده عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه، وهذه الدرجة عند أرباب السلوك أدنى من الدرجة الأولى.

وعبادة الله - سبحانه وتعالى - هي كما قال ابن القيم - رحمه الله -:

### وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما ركنان

فالعبادة مبنية على هذين الأمرين: غاية الحب، وغاية الذل، ففي الحب الطلب، وفي الذل الخوف والهرب، فهذا هو الإحسان في عبادة الله عز وجل. وإذا كان الإنسان يعبد الله على هذا الوجه، فإنه سوف يكون مخلصاً لله - عز وجل - لا يريد بعبادته رياء ولا سمعة، ولا مدحاً عند الناس، وسواء اطلع الناس عليه أم لم يطلعوا، الكل عنده سواء، وهو محسن العبادة على كل حال، بل إن من تمام الإخلاص أن يحرص الإنسان على أن لا يراه الناس في عبادته، وأن تكون عبادته مع ربه سراً، إلا إذا كان في إعلان ذلك مصلحة للمسلمين والإسلام، مثل أن يكون رجلاً متبوعاً يقتدى به، وأحب أن يبين عبادته للناس ليأخذوا من ذلك نبزاً يسرون عليه أو كان هو يجب أن يظهر العبادة ليقتدي بها زملاؤه وقرناؤه وأصحابه ففي هذا خير، وهذه المصلحة التي يلتفت إليها قد تكون أفضل وأعلى من مصلحة الإخفاء، لهذا يثني الله - عز وجل - على الذين ينفقون أموالهم سراً وعلانية، فإذا كان السر أصلح وأنفع للقلب وأخشع وأشد إنابة إلى الله أسروا، وإذا كان في الإعلان مصلحة للإسلام بظهور شرائعه، وللمسلمين يقتدون بهذا الفاعل وهذا العامل أعلنوه. والمؤمن ينظر ما هو الأصلح، كلما كان أصلح وأنفع في العبادة فهو أكمل وأفضل.

**الأصل الثالث (1):** معرفة نبيكم محمد ﷺ وهو: محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم وهاشم من قريش، وقري من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل، ابن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبيينا.

**والدليل من السنة:** حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت. ففعلنا له يسأله ويصدقته. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال: فمضى، فلبثنا ملياً، فقال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

**(1) أي من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها وهي:** معرفة العبد: ربه، ودينه، ونبيه.

وقد سبق الكلام على معرفة العبد ربه ودينه.

**وأما معرفة النبي ﷺ فتتضمن خمسة أمور:**

**الأول:** معرفته نسباً، فهو أشرف الناس نسباً، فهو هاشمي قرشي عربي، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، إلى آخر ما قاله الشيخ رحمه الله.

**الثاني:** معرفة سنّه، ومكان ولادته، ومهاجره وقد بينها الشيخ بقوله: «وله من العمر ثلاث وستون سنة. وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة» فقد ولد بمكة وبقي فيها ثلاثاً وخمسين سنة، ثم هاجر إلى المدينة فبقي فيها عشر سنين، ثم توفي فيها في ربيع الأول سنة إحدى عشرة بعد الهجرة.

أفضل الصلاة والسلام. وله من العمر: ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً، نبياً به (اقرأ). وأرسل بالمدثر، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة. بعثه الله بالندارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد (1) والدليل قوله تعالى: (يا أيها المدثر \* قم فأندر \* وربك فكبر \* وثيابك فطهر والرجز فاهجر \* ولا تمنن تستكثر \* ولربك فاصبر) [المدثر: 1-7] ومعنى (قم فأندر): ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد. (وربك فكبر) أي: عظمه بالتوحيد، (وثيابك فطهر) أي: طهر أعمالك عن الشرك. (والرجز فاهجر) الرجز: الأصنام وهجرها تركها، والبراءة منها وأهلها.

**الثالث:** معرفة حياته النبوية، وهي ثلاث وعشرون سنة، فقد أوحى إليه وله أربعون سنة كما قال أحد شعرائه:

وأنت عليه أربعون فأشرققت شمس النبوة منه في رمضان

**الرابع:** بماذا كان نبياً ورسولاً؟ فقد كان نبياً حين نزل عليه قول الله تعالى: ﴿أقرأ باسم ربك الذي خلق (1) خلق الإنسان من علق (2) اقرأ وربك الأكرم (3) الذي علم بالقلم (4) علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [العلق: 1-5]، ثم كان رسولاً حين نزل عليه قوله تعالى: ﴿بأيتها المدثر (1) قم فأندر (2) وربك فكبر (3) وثيابك فطهر (4) والرجز فاهجر (5) ولا تمنن تستكثر (6) ولربك فاصبر﴾ [المدثر: 1-7]، فقام فأندر وقام بأمر الله عز وجل.

والفرق بين الرسول والنبى كما يقول أهل العلم: أن النبى هو من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه والعمل به، فكل رسول نبى، وليس كل نبى رسولاً.

**الخامس:** بماذا أرسل ولماذا؟ فقد أرسل بتوحيد الله تعالى وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحذور، وأرسل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه.

(1) أي ينذرهم عن الشرك ويدعوهم إلى توحيد الله -عز وجل- في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

(2) النداء لرسول الله ﷺ.

(3) يأمر الله -عز وجل- نبيه ﷺ أن يقوم بجد ونشاط وينذر الناس عن الشرك ويحذرهم منه، وقد فسر الشيخ هذه الآيات.

أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد (1) وبعد العشر عرج به إلى السماء (2).

(1) أي أن النبي ﷺ بقي عشر سنين يدعو إلى توحيد الله - عز وجل - وإفراده بالعبادة سبحانه وتعالى.

(2) العروج: الصعود، ومنه قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: 4] وهو من خصائص النبي ﷺ العظيمة التي فضله الله به قبل أن يهاجر من مكة، فبينما هو نائم في الحجر في الكعبة أتاه آتٍ فشق ما بين ثغرة نحره إلى أسفل بطنه، ثم استخرج قلبه فملأه حكمة وإيماناً تهيئة لما سيقوم به، ثم أتى بدابة بيضاء دون البغل وفوق الحمار، يقال لها البراق يضع خطوه عند منتهى طرفه، فركبه ﷺ وبصحبه جبريل الأمين، حتى وصل بيت المقدس فنزل هناك، وصلى بالأنبياء إماماً بكل الأنبياء والمرسلين يصلون خلفه؛ ليتبين بذلك فضل رسول الله ﷺ وشرفه وأنه الإمام المتبوع، ثم عرج به جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح له، فوجد فيها آدم فقال جبريل: هذا أبوك آدم فسلم عليه. فسلم عليه، فرد عليه السلام، وقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. وإذا على يمين آدم أرواح السعداء، وعلى يساره أرواح الأشقياء من ذريته، فإذا نظر إلى اليمين سر وضحك، وإذا نظر قبيل شماله بكى، ثم عرج به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح ... إلخ.

فوجد فيها يحيى وعيسى -عليهما الصلاة والسلام- وهما ابنا الخالة، كل واحد منهما ابن خالة الآخر، فقال جبريل: هذان يحيى وعيسى، فسلم عليهما. فسلم عليهما، فردا السلام، وقالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم عرج به جبريل إلى السماء الثالثة فاستفتح ... إلخ.

فوجد فيها يوسف -عليه الصلاة والسلام- فقال جبريل: هذا يوسف، فسلم عليه. فسلم عليه، فرد السلام، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم عرج به جبريل إلى السماء الرابعة فاستفتح ... إلخ.

فوجد فيها إدريس عليه السلام فقال جبريل: هذا إدريس فسلم عليه. فسلم عليه، فرد السلام، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم عرج به جبريل إلى السماء الخامسة فاستفتح... إلخ. فوجد فيها هارون بن عمران أخا موسى عليه السلام فقال جبريل: هذا هارون فسلم عليه. فسلم عليه، فرد عليه السلام، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم عرج به جبريل إلى السماء السادسة فاستفتح.. إلخ. فوجد فيها موسى عليه السلام فقال جبريل: هذا موسى فسلم عليه. فسلم عليه، فرد عليه السلام، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. فلما تجاوزه بكى موسى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: «أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي» فكان بكاء موسى حزناً على ما فات أمته من الفضائل لا حسداً لأمة محمد عليه السلام ثم عرج به إلى السماء السابعة فاستفتح.. إلخ. فوجد فيها إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام فقال جبريل: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه. فسلم عليه، فرد عليه السلام، وقال: مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح.

وإنما طاف جبريل برسول الله عليه السلام على هؤلاء الأنبياء تكريماً له وإظهاراً لشرفه وفضله عليه السلام وكان إبراهيم الخليل مسنداً ظهره إلى البيت المعمور في السماء السابعة الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون ويصلون ثم يخرجون ولا يعودون في اليوم الثاني، يأتي غيرهم من الملائكة الذين لا يحصيهم إلا الله، ثم رفع النبي عليه السلام إلى سدرة المنتهى، فغشيها من أمر الله من البهاء والحسن ما غشيها حتى لا يستطيع أحد أن يصفها من حسناتها، ثم فرض الله عليه الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة فرضي بذلك وسلم، ثم نزل فلما مر بموسى قال: ما فرض ربك على أمتك؟ قال: خمسين صلاة في كل يوم. فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، وقد جربت الناس من قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك. قال النبي عليه السلام: «فرجعت، فوضع عني عشرًا» وما زال يراجع ربه حتى استقرت الفريضة على خمس، فنادى منادٍ: أمضيت فريضتي وخففت على عبادي.

وفي هذه الليلة أدخل النبي عليه السلام الجنة، فإذا فيها قباب اللؤلؤ، وإذا تراها المسك، ثم نزل رسول الله عليه السلام حتى أتى مكة بغلس، وصلى فيها الصبح.

وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين (1)، وبعدها أمر بالهجرة (2) إلى المدينة.

(1) وكان يصلي الرباعية ركعتين حتى هاجر إلى المدينة فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر.

(2) أمر الله - عز وجل - نبيه محمدًا ﷺ بالهجرة إلى المدينة لأن أهل مكة منعه أن يقيم دعوته، وفي شهر ربيع الأول من العام الثالث عشر من البعثة وصل النبي ﷺ إلى المدينة مهاجرًا من مكة البلد الأول للوحي، وأحب البلاد إلى الله ورسوله، خرج من مكة مهاجرًا بإذن ربه بعد أن قام بمكة ثلاث عشرة سنة يبلغ رسالة ربه ويدعو إليه على بصيرة فلم يجد من أكثر قريش وأكابرهم سوى الرفض لدعوته والإعراض عنها، والإيذاء الشديد للرسول ﷺ ومن آمن به حتى آل الأمر بهم إلى تنفيذ خطة المكر والخداع لقتل النبي ﷺ حيث اجتمع كبارؤهم في دار الندوة وتشاوروا ماذا يفعلون برسول الله ﷺ حين رأوا أصحابه يهاجرون إلى المدينة وأنه لا بد أن يلحق بهم ويجد النصره والعون من الأنصار الذين بايعوه على أن يمنعه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم وحيثئذ تكون له الدولة على قريش؟ فقال عدو الله أبو جهل: الرأي أن نأخذ من كل قبيلة فتي شابًا جلدًا ثم نعطي كل واحد سيفًا صارمًا ثم يعمدوا إلى محمد فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ونستريح منه، فيتفرق دمه في القبائل، فلا يستطيع بنو عبد مناف - يعني عشيرة النبي ﷺ - أن يجاربوا قومهم جميعًا، فيرضون بالدية فنعطيهم إياها.

فأعلم الله نبيه ﷺ بما أراد المشركون وأذن له بالهجرة وكان أبو بكر ﷺ قد تجهز من قبل للهجرة إلى المدينة، فقال له النبي ﷺ: «على رسلك فيني أرجو أن يؤذن لي» فتأخر أبو بكر ﷺ ليصحب النبي ﷺ قالت عائشة ﷺ: فبينما نحن في بيت أبي بكر في نحر الظهرية في منتصف النهار إذا برسول الله ﷺ على الباب متقنمًا، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، فدخل النبي ﷺ وقال لأبي بكر: أخرج من عندك. فقال: إنها هم أهلك بأبي أنت وأمي. فقال النبي ﷺ: قد أذن لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله. قال: نعم. فقال: يا رسول الله فخذ إحدى راحلتي هاتين. فقال النبي ﷺ: بالثمن.

ثم خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر فأقاما في غار جبل ثور ثلاث ليال، بييت عندهما عبد الله بن أبي بكر وكان غلامًا شابًا ذكيًا في آخر الليل إلى مكة فيصبح من قريش فلا يسمع بخبر حول النبي ﷺ وصاحبه إلا وعاه حتى يأتي به إليهما حين يختلط الظلام، فجعلت قريش تطلب النبي ﷺ من كل وجه وتسعى بكل وسيلة ليدركوا النبي ﷺ حتى جعلوا لمن يأتي بهما أو بأحدهما دية مائة من الإبل، ولكن الله كان معهما يحفظهما بعنايته ويرعاهما برعايته، حتى إن قريشًا ليقفون على باب الغار فلا يرونها.

قال أبو بكر رضي الله عنه: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا. فقال: «لا تحزن إن الله معنا، ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما». حتى إذا سكن الطلب عنهما قليلاً خرجا من الغار بعد ثلاث ليال متجهين إلى المدينة على طريق الساحل.

ولما سمع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار بخروج رسول الله ﷺ إليهم كانوا يخرجون كل صباح يوم إلى الحرة ينتظرون قدوم رسول الله ﷺ، وصاحبه حتى يطردهم حر الشمس، فلما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ وتعالى النهار واشتد الحر رجعوا إلى بيوتهم وإذا رجل من اليهود على أطم أطام المدينة ينظر لحاجة له فأبصر رسول الله ﷺ وأصحابه مقبلين يزول بهم السراب فلم يملك أن نادى بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم - يعني هذا حظكم وعزكم - الذي تنتظرون، فهب المسلمون للقاء رسول الله ﷺ معهم السلاح تعظيمًا وإجلالًا لرسول الله ﷺ وإيذانًا باستعدادهم للجهاد والدفاع دونه - رضي الله عنهم - فتلقوه ﷺ بظاهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين ونزل في بني عمرو بن عوف في قباء، وأقام فيهم بضع ليال وأسس المسجد، ثم ارتحل إلى المدينة والناس معه آخرون يتلقونه في الطرقات.

قال أبو بكر رضي الله عنه: خرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد.

والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام (1). والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام (2)، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة. والدليل قوة تعالى: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك ماوهم جهنم وساءت مصيراً \* إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً \* فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً) (3) [النساء: 97-99].

وقوله تعالى: (يا عبادي الذين ءامنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون) [العنكبوت: 65] قال البغوي - رحمه الله -: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان (1). والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ: لا تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها. (2).

(1) الهجرة في اللغة: مأخوذه من الهجر وهو الترك. وأما في الشرع فهي كما قال الشيخ: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام. وبلد الشرك هو الذي تقام فيها شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام، كالأذان والصلاة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجه عام شامل، وإنما قلنا على وجه عام شامل ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور، كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقلية المسلمة فيها من شعائر الإسلام، أما بلاد الإسلام فهي البلاد التي تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل.

(1) فهي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

(2) في هذه الآية دليل على أن هؤلاء الذين لم يهاجروا مع قدرتهم على الهجرة أن الملائكة توفاهم وتوبخهم وتقول لهم: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، أما العاجزون عن الهجرة من المستضعفين فقد عفا الله عنهم لعجزهم عن الهجرة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

(1) الظاهر أن الشيخ رحمه الله نقل هذا عن البغوي بمعناه، هذا إن كان نقله من التفسير إذ ليس المذكور في تفسير البغوي لهذه الآية بهذا اللفظ.

(2) وذلك حين انتهاء العمل الصالح المقبول لله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْتِنَانُهَا تَرَكْنَهَا مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: 158] والمراد ببعض الآيات هنا طلوع الشمس من مغربها.



(تتمة) نذكر هنا حكم السَّفَر إلى بلاد الكفر.

فنقول: السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

**الشرط الأول:** أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

**الشرط الثاني:** أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

**الشرط الثالث:** أن يكون محتاجًا إلى ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف، وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالًا كثيرة في هذه الأسفار.

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده، وكان عنده علم ودين على ما وصفنا، فهذا لا بأس به.

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام، وبلادنا الآن -والحمد لله- أصبحت بلادًا سياحية في بعض المناطق فيمكنه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها.

وأما الإقامة في بلاد الكفار فإن خطرها عظيم على دين الإسلام، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه، وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فساقًا، وبعضهم رجع مرتدًا عن دينه وكافرًا به وبسائر الأديان -والعياذ بالله- حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين، ولهذا كان ينبغي -بل يتعين- التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهوي في تلك المهالك.

فالإقامة في بلاد الكفر لا بد فيها من شرطين أساسيين:

**الشرط الأول:** أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان، وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ، وأن يكون مضمراً لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعدًا عن موالاتهم، ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ

حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: 22]

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فِئَصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَأُوا فِي أَنفُسِهِمْ تَدْمِيرًا ﴿المائدة: 51-52﴾ وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن: «من أحب قوماً فهو منهم» وأن: «المرء مع من أحب» ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم، ولذلك قال النبي ﷺ: «من أحب قوماً فهو منهم».

**الشرط الثاني:** أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة

لوجوب الهجرة حينئذ، قال في «المغني» ص 457 ج 8 في الكلام على أقسام الناس في الهجرة: أحدها من تجب عليه، وهو من يقدر عليها، ولا يمكنه إظهار دينه، ولا تمكنه من إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار، فهذا تجب عليه الهجرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُكَلَّفَةَ طَالِبًا أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَئِن لَّا وَدَّعَيْنَا مَا وَدَّعَيْنَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿النساء: 97﴾. وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتمتته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. اهـ.

وبعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفار إلى أقسام:

**القسم الأول:** أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه، فهذا نوع من الجهاد، فهي فرض كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان، فقال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية».

**القسم الثاني:** أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة، وبطلان التعبد، وإنحلال الأخلاق، وفوضوية السلوك؛ ليحذر الناس من الاغترار بهم، ويبين للمعجبين بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضًا لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. لكن لا بد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم، مثل أن يقابلوا فعله بسبب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 108].

ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلمين؛ ليعرف ما يدبروه للمسلمين من المكائد فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم.

**القسم الثالث:** أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دول الكفر كموظفي السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله. فالمالحق الثقافي مثلاً يقيم ليرعى شؤون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندرئ بها شر كبير.

**القسم الرابع:** أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم -رحمهم الله- على جواز دخول بلاد الكفر للتجارة، وأثروا ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم.

**القسم الخامس:** أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها، إقامة لحاجة، لكنها أخطر منها وأشد فتكاً بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والافتناع بأرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته، وهم قليل، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال.

والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يجهم ويتولاهم ويكتسب منهم، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط:

**الشرط الأول:** أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد، فأما بعث الأحداث «صغار السن» وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم، وخلقتهم، وسلوكهم، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع، فإن كثيراً من أولئك المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا منحرفين في دياناتهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية.

**الشرط الثاني:** أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقاً أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل. وفي الدعاء المأثور: «اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علي فأضل».

**الشرط الثالث:** أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، وضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة، فإذا صادفت محلاً ضعيف المقاومة عملت عملها.

**الشرط الرابع:** أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة.

فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة، والصوم، والحج، والجهاد والأذان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام (1)

**القسم السادس:** أن يقيم للسكن، وهذا أخطر مما قبله وأعظم لما يترتب عليه من المفسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاتة، وتكثير لسواد الكفار، ويتربى أهله بين أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم في العقيدة والتعبد، ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله». وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند لكن له وجهة من النظر، فإن المساكنة تدعو إلى المشاكلة، وعن قيس بن حازم عن جرير بن عبد الله ؓ أن النبي ﷺ قال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين. قالوا: يا رسول الله ولم؟ قال: لا تراءى ناراهما». رواه أبو داود والترمذي وأكثر الرواة روه مرسلًا عن قيس بن حازم عن النبي ﷺ قال الترمذي: سمعت محمدًا -يعني البخاري- يقول الصحيح حديث قيس عن النبي ﷺ مرسل. اهـ. وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به، بل ينتسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم. هذا ما توصلنا إليه في حكم الإقامة في بلاد الكفر، نسأل الله أن يكون موافقًا للحق والصواب.

(1) يقول المؤلف رحمته: لما استقر -أي النبي ﷺ- في المدينة النبوية أمر ببقية شرائع الإسلام، وذلك أنه في مكة دعا إلى التوحيد نحو عشر سنين، ثم بعد ذلك فرضت عليه الصلوات الخمس في مكة، ثم هاجر إلى المدينة ولم تفرض عليه الزكاة ولا الصيام ولا الحج ولا غيرها من شعائر الإسلام، وظاهر كلام المؤلف رحمته أن الزكاة فرضت أصلًا وتفصيلًا في المدينة، وذهب بعض أهل العلم إلى أن الزكاة فرضت أولًا في مكة، وفي المدينة قدرت الأنصباء وقدر الواجب، واستدل هؤلاء بأنه جاءت آيات توجب الزكاة في سورة مكية، مثل قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: 141] ومثل قوله تعالى: ﴿وَأَلْبَسَكَ فِي أَمْوَالِكُمْ حَقَّ مَعْلُومٍ﴾

أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلوا الله وسلامه عليه (1)

وعلى كل حال فاستقرار الزكاة وتقدير أنصابتها وما يجب فيها وبيان مستحقيها كان في المدينة، وكذلك الأذان والجمعة، والظاهر أن الجماعة كذلك لم تفرض إلا في المدينة؛ لأن الأذان الذي فيه الدعوة للجماعة فرض في السنة الثانية، فأما الزكاة والصيام فقد فرضا في السنة الثانية من الهجرة، وأما الحج فلم يفرض إلا في السنة التاسعة على القول الراجح من أقوال أهل العلم، وذلك حين كانت مكة بلد إسلام بعد فتحها في السنة الثامنة من الهجرة، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرهما من الشعائر الظاهرة، كلها فرضت في المدينة بعد استقرار النبي ﷺ فيها وإقامة الدولة الإسلامية فيها.

(1) أخذ - أي النبي ﷺ - عشر سنين بعد هجرته، فلما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين اختاره لجواره وللحاق بالرفيق الأعلى من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، فابتدأ به المرض - صلوات الله وسلامه عليه - في آخر شهر صفر وأول شهر ربيع الأول، فخرج إلى الناس عاصباً رأسه فصعد المنبر فشهد، وكان أول ما تكلم به بعد ذلك أن استغفر للشهداء الذين قتلوا في أحد، ثم قال: «إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله» ففهمها أبو بكر ؓ فبكى وقال: بأبي وأمي، نفديك بآبائنا وأمهاتنا، وأبنائنا، وأنفسنا، وأموالنا. فقال النبي ﷺ: «على رسلك يا أبا بكر» ثم قال: «إن آمنَّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن خلة الإسلام ومودته» وأمر أبا بكر أن يصلي بالناس، ولما كان يوم الإثنين الثاني عشر أو الثالث عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة اختاره الله لجواره، فلما نزل به جعل يدخل يده في ماء عنده ويمسح وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات» ثم شخّص بصره نحو السماء وقال: «اللهم في الرفيق الأعلى».

فتوفي ذلك اليوم فاضطرب الناس لذلك وحق لهم أن يضطربوا، حتى جاء أبو بكر ؓ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: 144]، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30].

ودينه باق، وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرنا منه، والخير الذي دل عليه: التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرنا منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه. بعثه الله إلى الناس كافة (1)، وأفترض الله طاعته على جميع الثقلين: الجن والإنس، والدليل قوله تعالى: ( قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ) (2) [الأعراف: 158]. وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ) (3) [المائدة: 5].

فاشتمد بكاء الناس وعرفوا أنه قدم، فغسّل -صلوات الله وسلامه عليه- في ثيابه تكريباً له، ثم كفن بثلاث أثواب -أي لفائف- بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وصلى الناس عليه أرسلأ بدون إمام، ثم دفن ليلة الأربعاء بعد أن تمت مبايعة الخليفة من بعده، فعليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(1) بعثه الله أي أرسله، إلى الناس كافة؛ أي جميعاً.

(2) في هذه الآية دليل على أن محمداً رسول الله ﷺ إلى الناس جميعاً وأن الذي أرسله له ملك السماوات والأرض، ومن بيده الإحياء والإماتة، وأنه سبحانه هو المتوحد بالألوهية كما هو متوحد في الربوبية، ثم أمر سبحانه وتعالى في آخر الآية أن نؤمن بهذا الرسول النبي الأمي وأن نتبعه وأن ذلك سبب للهداية العلمية والعملية، هداية الإرشاد، وهداية التوفيق، فهو عليه الصلاة والسلام رسول إلى جميع الثقلين، وهم الإنس والجن وسموا بذلك لكثرة عددهم.

(3) أي أن دينه عليه الصلاة والسلام باقٍ إلى يوم القيامة، فما توفي رسول الله ﷺ إلا وقد بين للأمة جميع ما تحتاجه في جميع شئونها حتى قال أبو ذر رضي الله عنه «ما ترك النبي ﷺ طائراً يقلب جناحية في السماء إلا ذكر لنا منه علماً» وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه علمكم نبيكم حتى الخرأ -آداب قضاء الحاجة- قال: «نعم، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي برجيع أو عظم».

فالنبي ﷺ بين كل الدين إما بقوله، وإما بفعله، وإما بإقراره ابتداءً أو جواباً عن سؤال، وأعظم ما بين عليه الصلاة والسلام التوحيد، وبين كل ما أمر به فهو خير للأمة في معادها ومعاشها، وكل ما نهى عنه فهو شر للأمة في معاشها ومعادها، وما يجهله بعض الناس ويدّعيه من ضيق في الأمر والنهي فإنما ذلك لخلل البصيرة وقلة الصبر وضعف الدين.

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ( إنك ميت وإنهم ميتون \* ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ) (1) [الزمر: 30-31]. والناس إذا ماتوا يبعثون (2)، والدليل قوله تعالى: (منها خلقناكم (3) وفيها نعيدكم (4) ومنها نخركم تارة أخرى) (5) [طه: 55]، وقوله تعالى: ( والله أنبتكم من الأرض نباتاً \* ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ) (6) [نوح: 17-18].

إلا فإن القاعدة العامة أن الله لم يجعل علينا في الدين من حرج وأن الدين كله يسر وسهولة، قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: 185] وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: 78] وقال تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة: 6] فالحمد لله على تمام نعمته وإكمال دينه.

(1) ففي هذه الآية أن النبي ﷺ ومن أرسل إليهم ميتون وأنهم سيختصمون عند الله يوم القيامة فيحكم بينهم بالحق ولن يجعل الله لكافرين على المؤمنين سبيلاً.

(2) بين ﷻ في هذه الجملة أن الناس إذا ماتوا يبعثون، يبعثهم الله -عز وجل- أحياء بعد موتهم للجزاء، وهذا هو النتيجة من إرسال الرسل أن يعمل الإنسان لهذا اليوم يوم البعث والنشور، اليوم الذي ذكر الله -سبحانه وتعالى- من أحواله وأهواله ما يجعل القلب ينيب إلى الله -عز وجل- ويخشى هذا اليوم، قال الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۗ (١٧) السَّمَاءُ مَطْفُورَةٌ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾ [الزلزل: 17-18].

وفي هذه الجملة إشارة إلى الإيمان بالبعث، واستدل الشيخ له بأيتين.

(3) أي من الأرض خلقناكم حين خلق آدم -عليه الصلاة والسلام- من تراب.

(4) أي بالدفن بعد الموت.

(5) أي بالبعث يوم القيامة.

(1) هذه الآية موافقة تماماً لقوله تعالى: ﴿ مِنهَا خَلَقْتَكُمْ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه: 55] والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، وقد أبدى الله -عز وجل- وأعاد في إثبات المعاد حتى يؤمن الناس بذلك ويزدادوا إيماناً ويعملوا لهذا اليوم العظيم الذي نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعلنا من العالمين له ومن السعداء فيه.



وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ( ليجزي الذين أسئوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ) (1) [النجم: 31].  
ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: ( زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ) (2) [التغابن: 7].

(1) يعني أن الناس بعد البعث يجازون ويحاسبون على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴾ [الزلزلة: 7-8]، وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ [الأنبياء: 47]، وقال جل وعلا: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلًا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: 160]. فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة فضلاً من الله -عز وجل- وامتناً منه سبحانه وتعالى، فهو جل وعلا قد تفضل بالعمل الصالح، ثم تفضل مرة أخرى بالجزاء عليه هذا الجزاء الواسع الكثير، أما العمل السيء فإن السيئة لا يجازى الإنسان بأكثر منها قال تعالى: ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: 160] وهذا من كمال فضل الله وإحسانه.

ثم استدل الشيخ لذلك بقوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْأَوْا بِمَا عَمَلُوا ﴾ ولم يقل بالسوأ كما قال: ﴿ وَبِجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى ﴾.

(2) من كذب بالبعث فهو كافر لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (١٢) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام: 29-30]، وقال تعالى: ﴿ وَيَلُومُ بَوْمٍ ذِي أُنْثَىٰ لِلْمَضْحَكِينَ ﴾ (١٠) الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَوْمَ الدِّينِ (١١) وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ إِبْنَانَا قَالَ اسْطِيرِ الْأَوَّلِينَ (١٣) كُلًّا بَلَّ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [المطففين: 10-17]، وقال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ [الفرقان: 11]، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِدُوا لِلَّهِ وَلِقَاءِ يَوْمِ أُولَئِكَ لِيَسْأَلُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المنكوت: 23].

واستدل الشيخ رحمته بقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية.

وأما إقناع هؤلاء المنكرين فيما يأتي:

**أولاً:** أن أمر البعث تواتر به النقل عن الأنبياء والمرسلين في الكتب الإلهية، والشرائع السماوية، وتلقته أمهم بالقبول، فكيف تنكرونه وأنتم تصدقون بما ينقل إليكم عن فيلسوف أو صاحب مبدأ أو فكرة، وإن لم يبلغ ما بلغه الخبر عن البعث قد شهد العقل بإمكانه، وذلك عن وجوه:

1- كل أحد لا ينكر أن يكون مخلوقاً بعد العدم، وأنه حادث بعد أن لم يكن، فالذي خلقه وأحدثه بعد أن لم يكن؛ قادرٌ على إعادته بالأولى، كما قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: 27]، وقال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: 104].

2- كل أحد لا ينكر عظمة خلق السموات والأرض لكبرهما وبديع صنعتهما، فالذي خلقهما قادر على خلق الناس وإعادتهم بالأولى؛ قال الله تعالى: ﴿ لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: 57]، وقال تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يُقَدِرْ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: 33]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يُقَدِرْ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنبياء: 81-82].

3- كل ذي بصر يشاهد الأرض مجدبة ميتة النبات، فإذا نزل المطر عليها أخصبت وحيات نباتها بعد الموت، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وبعثهم، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَائِبَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَإِنَّ الَّذِي آتَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: 39].

**ثالثاً:** أن أمر البعث قد شهد الحس والواقع بإمكانه فيما أخبرنا الله تعالى به من وقائع إحياء الموتى، وقد ذكر الله تعالى من ذلك في سورة البقرة خمس حوادث منها، قوله: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 259].

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين والدليل قوله تعالى: (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (1) [النساء: 165]،

**رابعاً:** أن الحكمة تقتضي البعث بعد الموت لتجازى كل نفس بما كسبت، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثاً لا قيمة له، ولا حكمة منه، ولم يكن بين الإنسان وبين البهائم فرق في هذه الحياة. قال الله تعالى: ﴿أَفَصَبِّتُهُ أَنَّمَا خَلَقْتُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿المؤمنون: 155-116﴾ وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَىٰ ﴿طه: 15﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثَ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِن أَكْثَر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿النحل: 38-40﴾. وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْتَدُوا قُلُوبًا وَلَا نَبِيًّا وَلَٰكِن لَّيْسَ بِمَعْلُومٍ ﴿١١٥﴾ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿التغابن: 7﴾. فإذا بينت هذه البراهين لمنكري البعث وأصروا على إنكارهم، فهم مكابرون معاندون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

(1) بين المؤلف رحمته أن الله أرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يبشرون من أطاعهم بالجنة وينذرون من خالفهم بالنار. وإرسال الرسل له حكم عظيمة: من أهمها -بل هو أهمها- أن تقوم الحجة على الناس حتى لا يكون لهم على الله حجة بعد إرسال الرسل كما قال تعالى: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾.

ومنها أنه من تمام نعمة الله على عباده فإن العقل البشري مهما كان لا يمكنه أن يدرك تفاصيل ما يجب لله تعالى من الحقوق الخاصة به، ولا يمكنه أن يطلع على ما لله تعالى من الصفات الكاملة، ولا يمكن أن يطلع على ما له من الأسماء الحسنى ولهذا أرسل الله الرسل -عليهم الصلاة والسلام- مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

وأعظم ما دعا إليه الرسل من أولهم نوح -عليه الصلاة والسلام- إلى آخرهم محمد رحمته التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿النحل: 36﴾. وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿الأنبياء: 25﴾.

وأولهم نوح -عليه السلام- وآخرهم محمد ﷺ والدليل على أن أولهم نوح -عليه السلام- قوله تعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) (1) [النساء: 163]. وكل أمة بعث الله إليها رسولاً (2) من نوح إلى محمد؛ يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله وأجتنبوا الطاغوت) (3) [النحل: 36]. وأفترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. قال ابن القيم -رحمته الله- الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع، أو مطاع (4).

(1) بين شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن أول الرسل نوح -عليه الصلاة والسلام- واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ [النساء: 163] وثبت في الصحيح من حديث الشفاعة: «إن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له: أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض» فلا رسول قبل نوح، وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا: إن أدريس -عليه الصلاة والسلام- قبل نوح بل الذي يظهر أن إدريس من أنبياء بني إسرائيل.

وأخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40] فلا نبي بعده، ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب كافر مرتد عن الإسلام.

(2) أي أن الله بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وينهاهم عن الشرك، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

(3) هذا هو معنى لا إله إلا الله.

(4) أراد شيخ الإسلام رحمه الله بهذا أن التوحيد لا يتم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت، وقد فرض الله ذلك على عباده.

والطاغوت مشتق من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَاطِقًا أَلْمَاءَ مَلَكْنَا فِي الْبَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 17]. يعني: لما زاد الماء عن الحد المعتاد حملناكم في الجارية يعني السفينة.

**واصطلاحًا:** أحسن ما قيل في تعريفه ما ذكره ابن القيم - رحمه الله - أنه - أي الطاغوت -: «كل ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع». ومراده بالمعبود والمتبوع والمطاع غير الصالحين، أما الصالحون فليسوا طواغيت وإن عبدوا - أو أتبعوا- أو أطيعوا فالأصنام التي تعبد من دون الله طواغيت، وعلماء السوء الذين يدعون إلى الضلال والكفر، أو يدعون إلى البدع، أو إلى تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله طواغيت، والذين يزينون لولاة الأمر الخروج عن شريعة الإسلام بنظم يستوردونها مخالفة لنظام الدين الإسلامي طواغيت، لأن هؤلاء تجاوزوا حدهم، فإن حد العالم أن يكون متبعًا لما جاء به النبي ﷺ لأن العلماء حقيقة ورثة الأنبياء، يرثونهم في أمتهم علمًا وعملاً، وأخلاقًا، ودعوة وتعليماً، فإذا تجاوزوا هذا الحد وصاروا يزينون للحكام الخروج عن شريعة الإسلام بمثل هذه النظم فهم طواغيت؛ لأنهم تجاوزوا ما كان يجب عليهم أن يكونوا عليه من متابعة الشريعة. وأما قوله - رحمه الله -: «أو مطاع» فيريد به الأمراء الذين يطاعون شرعاً أو قدرًا، فالأمراء يطاعون شرعاً إذا أمروا بما لا يخالف أمر الله ورسوله، وفي هذه الحال لا يصدق عليهم أنهم طواغيت، والواجب لهم على الرعية السمع والطاعة، وطاعتهم لولاة الأمر في هذا الحال بهذا القيد طاعة الله - عز وجل - ولهذا ينبغي أن نلاحظ حين ننفذ ما أمر به ولي الأمر - مما تجب طاعته فيه - أننا في ذلك نتعبد لله تعالى ونتقرب إليه بطاعته، حتى يكون تنفيذنا لهذا الأمر قرابة إلى الله - عز وجل - وإنما ينبغي لنا أن نلاحظ ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59].

وأما طاعة الأمراء قدرًا فإن الأمراء إذا كانوا أقوياء في سلطتهم فإن الناس يطيعونهم بقوة السلطان، وإن لم يكن بوازع الإيمان، لأن طاعة ولي الأمر تكون بوازع الإيمان وهذه هي الطاعة النافعة، النافعة لولاة الأمر، والنافعة للناس أيضًا، وقد تكون الطاعة بوازع السلطان بحيث يكون قويًا يخشى الناس منه ويهابونه لأنه ينكل بمن خالف أمره. ولهذا نقول: إن الناس مع حكاهم في هذه المسألة لهم أحوال:

والطواغيت (1) كثيرة ورؤسهم (2) خمسة إبليس (3) لعنه الله، ومن عبد وهو راض (4) ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه (5)، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب (6).

**الحال الأولى:** أن يقوى الوازع الإيماني والرادع السلطاني، وهذه أكمل الأحوال وأعلاها.

**الحال الثانية:** أن يضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني، وهذه أدنى الأحوال وأخطرها على المجتمع، على حكامه ومحكوميه؛ لأنه إذا ضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني حصلت الفوضى الفكرية والخلقية والعملية.

**الحال الثالثة:** أن يضعف الوازع الإيماني ويقوى الرادع السلطاني، وهذه مرتبة وسطى لأنه إذا قوى الرادع السلطاني صار أصلح للأمة في المظهر، فإذا اختفت قوة السلطان فلا تسأل عن حال الأمة وسوء عملها.

**الحال الرابعة:** أن يقوى الوازع الإيماني ويضعف الرادع السلطاني، فيكون المظهر أدنى منه في الحال الثالثة، لكنه فيما بين الإنسان وربه أكمل وأعلى.

(1) جمع طاغوت وسبق تفسيره.

(2) أي: زعمائهم ومقلدوهم خمسة.

(3) إبليس هو الشيطان الرجيم اللعين الذي قال الله له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: 78] وكان إبليس مع الملائكة صحبتهم يعمل بعملهم، ولما أمر بالسجود لآدم ظهر ما فيه من الخبث والإباء والإستكبار فأبى واستكبر وكان من الكافرين؛ فطرد من رحمة الله - عز وجل - قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34].

(4) أي عبد من دون الله وهو راض أن يعبد من دون الله فإنه من رءوس الطواغيت - والعياذ بالله - وسواء عبد في حياته أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك.

(5) أي من دعا الناس إلى عبادة نفسه وإن لم يعبدوه فإنه من رءوس الطواغيت سواء أوجب لما دعا إليه أم لم يجب.

(6) الغيب ما غاب عن الإنسان وهو نوعان:

ومن حكم بغير ما أنزل الله (1).

واقع، ومستقبل، فغيب الواقع نسبي يكون لشخص معلوماً ولاخر مجهولاً، وغيب المستقبل حقيقي لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده أو من أطلعه عليه من الرسل، فمن أدى علمه فهو كافر لأنه مكذب لله - عز وجل - ولرسوله، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: 65]، وإذا كان الله - عز وجل - يأمر نبيه محمداً ﷺ أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب الله - عز وجل - ورسوله في هذا الخبر.

ونقول لهؤلاء: كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبى ﷺ لا يعلم الغيب؟ هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ؟ فإن قالوا: هو أشرف. فنقول: لماذا يجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟ وقد قال عز وجل عن نفسه: ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن: 26-27]، وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلن للملأ بقوله: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۚ إِن أَنْجِ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الأنعام: 50].

(1) الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه، ولهذا سمي الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أرباباً لمتبعيهم، فقال سبحانه: ﴿ اتَّخَذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرُءُوبًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: 31]، فسمى الله تعالى المتبوعين أرباباً حيث جعلوا مشرعين مع الله تعالى، وسمى المتبعين عباداً حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى.





ثم حذر سبحانه هؤلاء المدعين للإيمان المتصفين بتلك الصفات بأنه سبحانه يعلم ما في قلوبهم وما يُكِنُّونه من أمور تخالف ما يقولون، وأمر نبيه أن يعظهم ويقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، ثم بين أن الحكمة من إرسال الرسول أن يكون هو المطاع المتبوع لا غيره من الناس مهما قويت أفكارهم واتسعت مداركهم، ثم أقسم تعالى بربوبيته لرسوله التي هي أخص أنواع الربوبية والتي تتضمن الإشارة إلى صحة رسالته ﷺ أقسم بها قسمًا مؤكدًا أنه لا يصح الإيمان إلا بثلاثة أمور:

**الأول:** أن يكون التحاكم في كل نزاع إلى رسول الله ﷺ.

**الثاني:** أن تنشر الصدور بحكمه، ولا يكون في النفوس حرج وضيق منه.

**الثالث:** أن يحصل التسليم بقبول ما حكم به وتنفيذه بدون تواني أو انحراف.

**وأما القسم الثاني:**

فمثل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: 33]، وقوله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: 45]، وقوله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: 47]، وهل هذه الأوصاف الثلاثة تنزل على موصوف واحد؟ بمعنى أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، لأن الله تعالى وصف الكافرين بالظلم والفسق فقال تعالى: ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: 254]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ [التوبة: 84]. فكل كافر ظالم فاسق، أو هذه الأوصاف تنزل على موصوفين بحسب الحامل لهم على عدم الحكم بما أنزل الله؟ هذا هو الأقرب عندي والله أعلم.

فنقول: من لم يحكم بما أنزل الله استخفافاً به، أو احتقاراً، أو اعتقاداً أن غيره أصلح منه، وأنفع للخلق أو مثله فهو كافر كفراً مخرجاً عن الملة، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجاً يسير الناس عليه، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية، والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه.

ومن لم يحكم بما أنزل الله وهو لم يستخف به، ولم يحتقره، ولم يعتقد أن غيره أصلح منه لنفسه أو نحو ذلك، فهذا ظالم وليس بكافر وتختلف مراتب ظلمه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافاً بحكم الله، ولا احتقاراً، ولا اعتقاداً أن غيره أصلح، وأنفع للخلق أو مثله، وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق، وليس بكافر، وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله: أنهم على وجهين: **أحدهما:** أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ويعتقدون تحليل ما حرم، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً.

**الثاني:** أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال -كذا العبارة المنقولة عنه- ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. وهناك فرق بين المسائل التي تعتبر تشريعاً عاماً، والمسألة المعينة التي يحكم فيها القاضي بغير ما أنزل الله لأن المسائل يتأتى فيها التقسيم السابق، وإنما هي من القسم الأول فقط لأن هذا المشرع تشريعاً يخالف الإسلام إنما شرعه لاعتقاده أنه أصلح من الإسلام وأنفع للعباد كما سبقت الإشارة إليه.

وهذه المسألة -أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله- من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان، فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبين له الحق لأن المسألة خطيرة، نسأل الله تعالى أن يصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم، كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبينه هؤلاء الحكام لتقوم الحججة عليهم وتبين المحجة فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ولا يحقرن نفسه عن بيانه ولا يهابن أحداً فيه، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

والدليل (1) قوله تعالى: ( لا إكراه في الدين) (2) قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله (3) فقد أستمسك بالعروة الوثقى (4) [البقرة: 256] وهذا معنى لا إله إلا الله. وفي الحديث رأس الأمر الإسلام (3) وعموده الصلاة (4) وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله، (5) ؛ والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم (1)

- (1) أي على وجوب الحكم بما أنزل الله والكفر بالطاغوت.
- (2) لا إكراه على الدين لظهور أدلته وبيانها ووضوحها ولهذا قال بعده: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ فإذا تبين الرشد من الغي فإن كل نفس سليمة لا بد أن تختار الرشد على الغي.
- (3) بدأ الله - عز وجل - بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله؛ لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثواب؛ ولهذا يقال التخلية قبل التحلية.
- (4) أي تمسك بها تمسكاً تاماً والعروة الوثقى هي الإسلام، وتأمل كيف قال عز وجل: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ﴾، ولم يقل: (تمسك) لأن الاستمساك أقوى من التمسك، فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك.
- (5) أراد المؤلف رحمته الله الاستدلال بهذا الحديث على أن لكل شيء رأساً، فرأس الأمر الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الإسلام.
- (6) لأنه لا يقوم إلا بها ولهذا كان الراجح كفر تارك الصلاة، وأنه ليس له الإسلام.
- (7) أي أعلاه وأكملة الجهاد في سبيل الله، وذلك لأن الإنسان إذا أصلح نفسه حاول إصلاح غيره بالجهاد في سبيل الله ليقوم الإسلام، ولتكون كلمة الله هي العليا، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وصار ذروة السنام لأن به علو الإسلام على غيره.

(1) ختم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله رسالته هذه برّد العلم إلى الله - عز وجل - والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبهذا انتهت «الأصول الثلاثة» وما يتعلق بها، فنسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفها أحسن ثواب، وأن يجعل لنا نصيباً من أجرها وثوابها، وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

## الفهرس

### الموضوع

3	ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
7	ترجمة الشيخ محمد بن صالح العثيمين
13	شرح السجدة
14	العلم ومرتب الأثر
15	الفرق بين الروح والعقيدة
17	الدين الأبر
19	المسألة الأولى: العلم وهو معرفة العبادية وبيته ودينه
24	المسألة الثانية: العلم به
23	المسألة الثالثة: الدعوة إليه
24	المسألة الرابعة: العلم على الأدي
24	أقسام العلم
24	تدريج دعوة العاص
25	تعريف قول الإمام الشافعي أو ما ذكره من حيث علمه إلا أنه السورة للكتوب
27	المسألة الخامسة: العلم على كل مسلم ومسلمة



## الفهرس

... لتقلد طاناً ...

تدبره رة لها منه ثابوناً رة لا طاناً ...

الموضوع ...

- 3 ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
- 7 ترجمة الشيخ محمد بن صالح العثيمين
- 15 شرح البسمة
- 16 العلم ومراتب الإدراك
- 16 الفرق بين الرحمة والمغفرة
- 17 المسائل الأربع
- 17 \*المسألة الأولى: العلم وهو: معرفة العبد ربه ونبيه ودينه
- 18 \*المسألة الثانية: العمل به
- 18 \*المسألة الثالثة: الدعوة إليه
- 20 المسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه
- 20 أقسام الصبر
- 21 تفسير سورة العصر
- 22 معنى قول الإمام الشافعي لو ما نزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم
- 23 المسائل الثلاثة التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمهن:

## الصفحة

## الموضوع

- 23 \* المسألة الأولى: أن الله خلقنا ...
- 26 \* المسألة الثانية: إن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته
- 27 \* المسألة الثالثة: أن من أطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاته من حاد الله  
ورسوله
- 28 معنى الحنيفية
- 29 أعظم ما أمر الله به التوحيد
- 31 أعظم ما نهى الله عنه الشرك
- 32 الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها:
- 32 \* الأصل الأول: معرفة العبد ربه
- 48 \* الأصل الثاني: معرفة العبد دينه
- 49 \* مراتب الدين:
- 49 المرتبة الأولى: الإسلام
- 55 المرتبة الثانية: الإيمان
- 55 أركان الإيمان: الركن الأول: الإيمان بالله
- 62 الركن الثاني: الإيمان بالملائكة
- 64 الركن الثالث: الإيمان بالكتب
- 65 الركن الرابع: الإيمان بالرسول
- 66 الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

## الصفحة

## الموضوع

74	الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره
79	المرتبة الثالثة: الإحسان
81	الأصل الثالث: معرفة العبد نبيه
82	حياة النبي ﷺ
83	المعراج
85	هجرة النبي ﷺ
87	تعريف الهجرة وحكمها والدليل
88	تتمة في حكم السفر إلى بلاد الكفر
93	وفاة النبي ﷺ
96	الإيمان بالبعث ودليله
96	الإيمان بالحساب ودليله
96	حكم التكذيب بالبعث
98	الحكمة من إرسال الرسل
99	أول الرسل وآخرهم
99	دعوة جميع الرسل إلى عبادة الله والنهي عن الشرك
99	أكفر بالطاغوت
100	أحسن تعريف للطاغوت



الصفحة	الموضوع
101	أحوال الناس مع حكامهم
101	رءوس الطواغيت: لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادة
101	الأول: إبليس
101	الثاني: من عبد وهو راض
101	الثالث: من دعا الناس إلى عبادة نفسه
101	الرابع: من ادعى شيئاً من علم الغيب
102	الخامس: من حكم بغير ما أنزل الله
106	الخاتمة برد العلم إلى الله تعالى والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه
109	الفهرس
	عليه وشعبان نوربكا
	عليه وبسطون نوربكا
	شعبان بييلنا
	رأسها بالسا
	وهي آء رأسها
	ثالثها نه يوتال لها تليه بالراسها
	ت يعلال
	ت يعلال بقية نسأ

# الأصول الثلاثة



**دار الكوثر**

اش الإمام محمد عبده - خلف الجامع الأزهر  
القاهرة - جمهورية مصر العربية  
هاتف: 00202/25141711  
جوال: 002/0103172827  
dar\_elkoثر@hotmail.com